٥٦٥

[illegible]

الذريعة الى مكارم الشريعة

تأليف

الامام ابى القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الاصفهاني

KÜTÜPHANESİ

T.C. İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ KÜTÜPHANESİ

٥٦٥

٥٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله بجوده الذي هو سبب الوجود نوراً يهدينا الى الاقبال عليه
ويميل بنا الى الاصغاء اليه ويدلنا على حسن معاملته وبالقوة على الدأب في
طاعته وان يجعلنا من جملة من ضمن [illegible] سبحانه عصمتهم عن غواية الشيطان
حيث قال تعالى ان عبادي ليس لك [illegible] عنهم الشيطان
مستثنيه اللعين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين **قال** الشيخ الامام ابو القاسم الراغب رحمه الله كنت قد اشرت
فيما امليته من كتاب تحقيق البيان في تأويل القرآن الى الفرق بين احكام
الشريعة ومكارمها وان المكارم المطلقة هي اسم لما لا يتحاشى من وصف
الباري تعالى باكثرها نحو الحكمة والجود والحلم والعفو وان كان وصفه تعالى
بذلك على حد اشرف مما يوصف به البشر وان الاحكام يتناول ذلك
والعبادات وانه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه
خليفة الله المعني بقوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة وبقوله تعالى
ويستخلفكم في الارض وبقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض
واشرت ان خليفة الله عز وجل لا تصح الا بطهارة النفس كما لا تصح انواع
العبادات الا بطهارة الجسم وقد استخرت الله الآن وعملت في ذلك

كتاباً

كتاباً يكون ذريعة الى مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الانسان الى منزلة
العبودية التي جعلها الله شرفاً للاتقياء وكيف يترقى عنها اذا وصلها
الى منزلة الخلافة التي جعلها الله شرفاً للصديقين والشهداء فبالجمع
بين احكام الشرع ومكارمه علماً وابرازهما عملاً يكتسب العلى ويتم التقوى
ويتبلغ الى جنة المأوى ورغبني ايها الاخ الفاضل وفقك الله لرشدك
واعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رأيت من تشوقك بان تزين ما وليه
الله من حسن خَلقك وخُلقك بما تتولاه من تحسين ادبك واكمال مروتك
فما اجدر رواءك الصبيح ان يحصل وراءه الرأي الصحيح **بيت** حتى تصادف
اترجاً يطيب معاً نوراً وحملاً ولباب العود والورق فما اقبح بالمرء ان يكون
حسن [illegible] باعتبار قبيح بنفسه جنة يعمرها بوم وصرمة يحرسها ذئب صرمه
كما قال حكيم الجاهل صبيح [illegible] البيت محسن وانما ساكنه قردي وان
يكون باعتباره [illegible] اثاثه ثوراً عليه حلي فقد سمى بعض الحكماء
الاغنياء تيوساً [illegible] وحمراً اجلالها حبر ودخل حكيم على رجل فرأى
داراً [illegible] مبولة ورأى صاحبها خلواً من الفضيلة فبزق في
وجهه فقال له ما هذا السفه ايها الحكيم فقال بل هذا حكمة ان البصاق
يُرمى الى اخس مكان في الدار ولم ار في دارك اخس منك فنبه بذلك
على دناءة الجهل وان قبحه لا يزول بادخار القنيات فكن ايها الاخ عالماً
وبعلمك عاملاً تكن من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
واحذر الشيطان ان يسبيك ويغريك باغراض الدنيا وزخارفها
فيجعلك من اوليائه ويخوفك بوساوسه كما قال عز وجل انما ذلكم
الشيطان يخوف اولياءه **واعلم** انه قبيح بذي العقل ان يكون بهيمة وقد
امكنه ان يكون ملكاً وان يرضى بقنية معاره وحيوة مستردة وله ان مغاره
يتخذ قنية مخلدة وحيوة مؤبدة **بيت** فلم ار في عيوب الناس شيئاً

كنقص القادرين على التمام وان اردت ان تعرف بقاء العلماء الاتقياء
فاعتبر ما قاله امير المؤمنين رضي الله عنه مات خزان الاموال وهم احياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة
وان اردت ان تشاهدهم في الجنة يتنعمون فاستقر حال حارثة حيث
قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبحت مؤمنا حقا فقال عليه السلام لكل
حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال في جملة جوابه وكاني انظر الى اهل
الجنة يتزاورون فصدقه عليه السلام وقال له عرفت فالزم ولا يحد عنك
عن طلب ذلك وادراكه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
وهم بالآخرة هم كافرون فقد وصفهم الله بالصم والعمي اذ قال تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذمهم بقوله اولئك الذين خسروا
انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم فرق بينهم وبين من ضادهم
فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا
افلا تذكرون فاخبر تعالى انهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع العقل
وبصيرته اللذين بهما تنال حقايق المسموعات والمبصرات **ذكر الفصول
وانواعها** وهي سبعة فصول وكل فصل على عدة ابواب **الفصل الاول
في احوال الانسان وقواه وفضيلته واخلاقه** مثل اهل الدنيا وما يحتاج
له ماهية الانسان وكيفية تركبه تعاون القوى الروحانية وكيفية
ادراكها بيان فضيلة الانسان على سائر الحيوان بيان ما به يفضل
الانسان كون الانسان بين الملك والبهيمة ما لاجله اوجد
الانسان السياسة التي يستحق بها خلافة الله الفرق بين مكارم الشريعة
وبين العبادة وعمارة الارض كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة
الله وكمال عبادته فيما يفرغ اليه طهارة النفس بيان منازعة الهوى
العقل الفرق بين ما يشير به العقل وما يسومه الهوى في ذكر الخاطر

الذي

الذي يعرض من جهة العقل حصول الخلق المحمود بطهارة النفس الفرق
بين الخلق والسجية والطبع والعادة والهوى امكان تغيير الخلق بيان
صعوبة اصلاح القوة الشهوية وما فيها من المنفعة والمضرة ازدياد الانسان
في الفضائل والرذائل بتعاطيها الفرق بين ما يحمد ويذم من التخلق سبب
اختلاف الناس وجوب اكتساب الفضائل المحمودة انواع نعم
الله الموهوبة والمكتسبة حاجة بعض الفضائل الى بعض الفضائل الجسمية
الفضائل المطيفة بالانسان الفضائل التوفيقية ما يتولد من الفضائل
النفسية في تلازم الفضائل النفسية بعضها بعضا البواعث على فعل الخير
وتحري الفضائل الموانع من تحري الفضائل الارتقاء في درجات الفضائل
والانحدار عنها الى اقصى المراذل بيان عادة الله تعالى في تهذيب الذين
تزيدوا في الرذائل حتى يتدارك اخلاقهم بيان اصناف الناس **الفصل الثاني
في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها واضدادها** انواع العقل المكتسب
من العقل الدنيوي والاخروي منازل العقل واختلاف اساميها بحسبها
جلالة العقل وشرف العلم الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والدراية
والحكمة توابع العقل توابع العقل من معرفة الله تعالى الضرورية والمكتسبة
وغاية ما يبلغه الانسان من ذلك وجوب بعثة الانبياء عليهم السلام وقلة
الاستغناء عنهم ما يعرف به صحة النبوة كون الرسل والعقل هاديين للخلق
الى الحق لتعذر ادراك العلوم النبوية على من لم تتهذب الايمان والاسلام
والتقوى والبر في الايمان في معنى الخبر الايمان بضع وسبعون بابا في
انواع الجهل حصر انواع المعلومات ما يعرف به فضيلة العلوم استحالة
معرفة انواع العلوم معاداة بعض الناس لبعض العلوم الحث على تناول
البلغة من كل علم والاقتصار عليه احوال الانسان في استفادة العلم وافادته
ما يجب على المتعلم ان يتحراه مع العلم ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه

وجوب منع الجهلة عن حقايق العلوم، وجوب ضبط المتصدين للعلم وخطر اهمال ذلك، ذكر من يصلح لوعظ العامة، الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ، صعوبة المعيار الذي يعرف به حقايق العلوم، كراهة الجدال للعلوم وذمه، ما يجب ان يعامل به الجدل المماحل، الوجوه التي تقع من اجلها الشبه والخلاف، بيان اختلاف الناس في الاديان والمذاهب، النطق والصمت، الصدق والكذب، انواع الكذب والسبب الداعي له، الذكر الحسن من المدح والثناء، الشكر، الغيبة والنميمة، الكلام المستقبح، المزاح والضحك، الحلف، **الفصل الثالث** فيما يتعلق بالقوى الشهوية الحياء، الوفاء، كبر الهمة، المشاورة، النصح، كتمان السر، التواضع، الكبر، التيه، العجب، انواع اللذات وتفاصيلها، ما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح، ما يحسن تعاطيه من المنكح وما لا يحسن، ذكر العفة، القناعة، الزهد، الورع، **الفصل الرابع** فيما يتعلق بالقوى الغضبية، ما ينتج من القوى الغضبية، انواع الصبر ومدحه، الشجاعة، اسماء انواع الفزع والفرق بينها وبين ما يحمد منها وما يذم، مداواة الغم وازالة الخوف، احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به، الفرح والسرور، العذر والتوبة، الحلم والعفو، ثوران الغضب وفضل كظمه، الغيرة والجوار، الغبطة والمنافسة والحسد، **الفصل الخامس** فيما يتعلق بالعدالة والظلم والمحبة والبغض وغيره، ذكر العدالة وفضيلتها، انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه، ما يحسن ترك العدالة فيه، ذكر الظلم، الاسباب التي تحصل منه الاضرار، ذكر المكر والكيد والخديعة والحيلة، بيان ماهية المحبة وانواعها، فضيلة الصداقة، ذكر التحبب في الناس، الحث على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار، فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته، العداوة، **الفصل السادس** فيما يتعلق بالصناعة، حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر، تسخير الله اهم الناس للصناعات، كون الفقر وخوفه سبب

نظام

نظام الناس، مناسبة الابدان للصناعات المختلفة وعناية كل احد بما يتحراه، وجوب التكسب، مدح السعي وذم التكسل، تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض، مدح المال وذمه، ذكر المال والادب في اقتنائه والوجوه التي منها يحصل، سبب اخفاق العاقل وانجاح الجاهل، تحقيق كون الملك في ايدي الناس، تفاوت احوال المتناولين لاعراض الدنيا، في بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة الظاهرة في شان الدنيا، احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والآخرة، بيان حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك، ما ينال ارباب الدنيا من العقوبة الدنيوية، ذكر الانفاق المحمود والمذموم، ذكر حقيقة الشجاعة والجود والشح والبخل، انواع الجود والمجود به، **الفصل السابع** في ذكر الافعال، انواع الافعال، الفرق بين الفعل والعمل والصنع، انواع الصناعات، الافعال الارادية وغير الارادية، ما يستحق به من الافعال الذم وما لا يستحق به، الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها،

الباب الاول من الفصل الاول مثل اهل الدنيا وارتحال الانسان في هذه الدار كما قال امير المؤمنين رضي الله عنه الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حيوته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه ويسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر **بيت** رأيت اخا الدنيا وان كان حافظاً، اخا سفر يسرى به وهو لا يدرى، وقد دعي الى دار السلام كما قال عز وجل لهم دار السلام عند ربهم وقوله والله يدعوا الى دار السلام وتوجه به اليها نحو اشرف الزهرات والذ الثمرات جنات تجري من تحتها الانهار بل الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة قد استولى عليها شرار الظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا وكتبه التي انزلها علينا نوراً هادياً ومن عبادته التي امرنا بها حصناً واقياً

خطا

فقال في وصف نوره الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة
فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار
نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس
فجعل المصباح مثلاً للعقل والمشكوة مثلاً لصدر المؤمن والزجاجة لقلبه
والشجرة المباركة وهى الزيتونة الدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيهاً
انها مصونة عن الافراط والتفريط كما قال ان هذا القران يهدى للتى هى
اقوم والزيت القران وبين ان القران يجرى مجرى الزيت المصباح وانها يكاد
يكفى لوضوحه وان لم يعاضده العقل ثم قال نور على نور اى نور القران ونور
العقل وبين انه يخص بذلك من يش وقال في وصف ما جعله الله تعالى
لنا من الحصن ان عبادى ليس لك عليهم سلطان اى المحصنين بعبادتى
فمن لم يقم برعاية نوره وحماية حصنه تحمه في دجاه او تمكن في استغواله تحمه
عداه كما قال عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون فمن لم يتزود
من دنياه زاده كما امره تعالى بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى حانت حان
رحلته فيسترجع منه ما اعير من جده وذات يده فيتحسر حين لا يغنيه
تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
ويقول هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل
فحينئذ لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا وايضاً فان الانسان في دنياه حارث وعمله حرثه ودنياه محرثه
ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا يحصد الا ما زرعه ولا
يكيل الا ما حصده ولهذا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من

نصيب

نصيب • وكما ان في البيدر مكاييل وموازين وامنا وحفاظاً وشاهدين
كذلك في الآخرة مثل ذلك كما قال عز وجل • ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا
حاسبين • وقال • وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون • وقال عز
وجل • وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق • وكما ان في البيدر تذرية وتمييزاً تذريه
بين النقاوة والحطام كذلك في الآخرة تمييز بين الحسنى والآثام كما قال تعالى • حطام
ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله
في جهنم • وقال في عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئاً • وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به
الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ فمن عمل للآخرة بورك له في كيله
ووزنه وجعل له زاد الابد كما قال تعالى • ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فاولئك كان سعيهم مشكوراً ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله • كما قال تعالى خاب
من كان يريد الحيوة الدنيا نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك
الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون •
فاعمال الدنيا كشجرة الخلاف بل كالدفلى والحنظل في الربيع يرى غض الاوراق
حتى اذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلاً واذا اختبر مجتناه البيدر لم يفد نائلاً
ومثل اعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل المستقبح المنظر في الشتاء فاذا جاء وقت
القطاف والاجتناء افادتك زاداً وادخرت منها عدة وعتاداً والى نحوها اشار
تعالى بقوله ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ولما
كانت زهرات الدنيا رائقة الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها
فقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا الآية

باب ماهية الانسان وكيفية تركيبه الانسان مركب من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة واليها اشار تعالى بقوله اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فالاشارة بالروح واضافته تعالى الروح الى نفسه تشريف له وعنى بها النفس المذكورة في قوله تعالى اخرجوا انفسكم، ووجود النفس في الانسان لا يحتاج ان يدل عليه لوضوح امره بل تنبيه الجاحد لها والغافل عنها بانها هي التي بحصولها في الجسم تحصل الحيوة والحركة والحس والعلم والرأي والتمييز ويكون الجسم متصرفاً بها وعاملاً ومستحسناً ومستطاباً ومحبباً وبفقدها عدم هذه الاشياء فيصير جيفة يحتاج الى عدة تحمله وهي محل الاعراض الروحانية كالجسم في كونه محلاً للاعراض الجسمانية وقد حث الله تعالى على تدبر النفس والتفكر فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون، وقال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق، وكان يقال في الامم السالفة من انكر الباري تعالى رُجم لكونه جاحداً ومن انكر النفس رُجم لكونه جاهلاً وقيل كان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعرفكم بربه اعلمكم بنفسه، بل قال عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون تنبيهاً انهم لما نسوه تعالى دل نسيانهم اياه على نسيانهم لها، وقالت الحكماء قد ركب الله تعالى في الانسان تركيباً محسوساً معقولاً على هيئة العالم واوجد فيه شبه كل ما هو موجود في العالم حتى قيل الانسان هو عالم صغير ومختصر العالم الكبير وذلك ليدل به على معرفة العالم فيتوصل بهما الى معرفة صانعهما فغاية معرفة الانسان لباريه تعالى ان يعرف العالم فيعلم انه موجد وان له موجداً ليس مثله تعالى

باب في قوى الانسان قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على وجودها ما يظهر من تاثيراتها قوة الغذاء وبها النشو والتربية والولادة وقوة الحس وبها الاحساس

واللذة

واللذة والالم وقوة التخيل وبها تصور اعيان الاشياء بعد غيبوبتها عن الحس وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضا والغضب والايثار والكراهية وقوة الفكر بها يكون النطق والعقل والعلم والحكمة والروية والتدبير والمهنة والرأي والمشورة فاما القوة المدركة منها فخمس الحواس الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ فاما الحواس فلكل واحدة منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والتفه وللشم اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان الصوت البسيط والكلام المركب منه وللبصر عشر النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وابعاده وحركاته وسكناته فادون هذه الادراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين بها الا فيما يعود نفعها الى صلاح الجسم وارفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل فان ثلاثتها تدرك الاشياء الروحانية فاما السمع والبصر فمتوسطان فانهما تخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس اكثر ويدركان الاشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر فياخذ تارة من السمع والبصر ويسلم الى العقل والفكر وذلك في حال اليقظة ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلمه الى السمع والبصر وذلك في حال النوم ولما كان تاثير هذه القوى من الدماغ قيل مسكن الفكرة وسط الدماغ ومسكن الخيال مقدمه ومسكن الحفظ والذكر مؤخره ولما كان قوام الدماغ بل قوام الجسم كله من القلب الذي منه منشاء الحرارة الغريزية صار في كلام الناس يعبر عن هذه القوى مرة بالدماغ فيقال لفلان دماغ اذا قوي منه هذه القوى المدركة وفلان خالي الدماغ اذا ضعف فيه هذه القوى ويعبر عنها تارة بالقلب والثاني اكثر وعلى ذلك قال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان

المهنة

له قلب• ولما كان ادراك اكثر الحقايق بهذه القوى الثلثة القلب والبصر والسمع عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطايه اياها وحمد من استعملها وذم من اهملها فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيدة• وقال في ذم من لا ينتفع بها لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها• وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون• اى لا يفهمون• المعنى لا انهم لا يسمعون الاصوات ولا يبصرون الذوات وجعلهم بكما من حيث انهم لا يوردون معنى مستنبطا بالفكر ومدركا بالعقل• واعلم ان السمع والبصر كاخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه فقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب بما ياخذه عن اللفظ فيدرك في ساعته ما لا يدركه البصر في برهة وينوب البصر عن السمع في ابلاغ القلب مطالعة الكتب فلا يدركه السمع في مدة سيما اذا كان المخاطب ناقص العبارة او غير متثبت في الكلام او دق المعنى وغمض **باب** تفاوت القوى الروحانية وكيفية ادراكها القوى الروحانية متعاونات في ادراكهن رسوم المعلومات• فان الخيال يتصور عن المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها تنقش الشمع صورة الختم ثم ياخذه الفكر فيميز بعضها عن بعض بنور العقل فيبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم يؤديه الى القوة الحافظة فان اراد ابرازه لفظا سلط عليه قوة الناطقة فيعبر عنه باللسان وان اراد ابرازه فعلا سلط عليه القوة العاملة فتوجده بالجوارح وقد ذكر بعض الحكماء مثلا لهذه القوى يقرب منه تصور تاثيراتها فقال ان القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك يسكن وسط المملكة• والخيالية ومسكنها مقدم الدماغ جارية مجرى صاحب بريده والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ جارية مجرى خازنه والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه والعاملة جارية مجرى كاتبه والحواس جارية مجرى الجواسيس واصحاب الاخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الاخبار فيلتقط كل واحد الخبر من الصقع الذي وقع فيه فيرفعه الى صاحب البريد وصاحب البريد يسقط ما يراه حشوا ويرفع الباقي

صاحب البريد

صافيا

صافيا الى حضرة الملك فيميزه ويعرف منافعه ومضاره ويسلمه الى خازنه الى وقت الحاجة اليه وحينئذ يتقدم باخراجه• قالوا وكما ان للملك افعالا يستعين فيها بغيره وافعالا يتفرد هو بنفسه والافعال التي يتولاها بنفسه اشرف مما يفوضه الى غيره كذلك للقوة افعال يفوضها الى غيرها وافعال هي بها وهي الروية والفكر والاعتبار والتصور والقياس والفراسة• فالروية تدبير الامور وبالتفكر استخراج الغوامض وبالاعتبار تحصيل التجربة وبالقياس استنباط المجهول بتوسط المعلوم وبالفراسة الاطلاع على الاسرار• ونحو هذا المثل ما روي عن كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله تعالى عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده• فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **باب** تفاوت فضيلة الانسان على ساير الحيوان للانسان فضل على الحيوانات كلها في نفسه وجسمه• اما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والراي فان البهايم وان كانت كلها تحس وبعضها يتخيل فليس لها فكر ولا روية ولا استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الاشياء واسبابها وليس في قواها تعلم الصناعات المتخيلة واقواها في ذلك الفيل والقرد• واما فضله في جسمه فاليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في هذا العالم• وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم• وبقوله وصوركم فاحسن صوركم• ولم يعن الصورة التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة ولتشريفه تعالى اياه قال• ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا• ومن زعم ان الانسان خلق خلقة ناقصة عن الوحشيات من حيث لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحا كما اعطي كثير منها فنظره ناقص اذ قد اعطي الانسان

هاد قمع

بذله التمييز الذي يمكنه ان يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريده فيقتنيه وله
متى اراد ويضعه متى احب ثم لو اعطى الانسان بعض الاسلحة التي اعطيته
لم يمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات، وايضاً فلو اعطى ذلك لكان من الحق ان لا يعطى
التمييز لانه حينئذ كان يستغنى عنه فيبطل فائدته وفعل الله تعالى منزه عن ذلك
وان قيل فكيف قال عز وجل، خلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه
بالاضافة الى الملاء الاعلى لما فيه من الحاجات البدنية قد كفيها، واعلم ان كل
ما اوجد في هذا العالم فانما اوجد لاجل الانسان اما لانتفاعه به كالخيل والبغال
او كالاغذية له كالبقر والغنم والحبوب والثمار، واما الانتفاع بما ينتفع به الانسان
كالعشب والحشرات وما لا يعرف الانسان نفعه فليس يخرج من كونه نافعاً
وقد تبين الحكماء نفع جلها وما لا سبيل لبعضنا او لكلنا الى معرفة نفعه فليس جهلنا
به قادحاً في حكمة الله تعالى في ايجاده فرب شيء جهلنا نفعه وقد سخر لمعرفته
بعض الحيوان كالشجر الذي فيه العسل بالقوة وما سخر لمعرفته واستخراجه الا النحل
وما اليق من انكر حكمة الله لجهله به ان ينشد، وما علي بان لا يفهم البقر،

باب بيان ما به يفضل الانسان،

الانسان وان كان هو بكونه
انساناً افضل موجود فذلك بشرط ان يراعي ما به صار انساناً وهو العلم والعمل
المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل، ولهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون
اي ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة يقال احسن فلان اذا علم
واذا عمل حسناً، فاما الانسان من حيث ما يتغذى وينسل فنبات ومن
حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في
جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان
الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة، فالانسان يضارع الملك بقوة النطق والعلم ضرع
والفهم ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن صرف همته كلها الى تربية
الفكرة بالعلم والعمل فخليق بان يلحق بافق الملك فيسمى ملكاً وربانياً كما قال

تعالى

تعالى ان هذا الا ملك كريم، ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوية
باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فخليق ان يلحق بافق البهايم
فيصير اما غمراً كثور واما شرهاً كخنزير او ضرعاً ككلب او حقوداً كجمل او متكبراً
مريد كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد، وعلى ذلك قوله تعالى روغان
وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، ولكون كثير ممن صورته صورة الانسان
وليس هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان قال تعالى في الذين لا يعقلون عن الله
ان هم الا كالانعام بل هم اضل، وقال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون فبين ان الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التي جعلها الله لهم هم شر
نعق الدواب وقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء، اي مثل واعظ الكافرين كناعق الاغنام تنبيهاً انهم فيما يقال لهم كالبهايم
وبهذا النظر عبّر الشاعر عن بعض من ذمه فقال بيت اللوم اكرم من وبر ووالده
واللوم اكرم من وبر وما ولدا، تنبيهاً انه لا يستحق ان يقال له من لكونه بهيمة وبر
وعلى هذا قال المتنبي، تخطى اذا جئت في استفهامه بمن، ولما ذكرنا لم يكن بعض
هذه الانواع وبعضها من التفاوت ما بين انسان وانسان فانك قد ترى
واحداً كعشرة لا بل واحداً كمائة وعشرة اخرى هذرة دون واحد كما قيل لامرأة هذرة
في منامها عشرة هذرة احب اليك ام واحد كعشرة فقالت واحد كعشرة لا بل تركا
واحداً كالف والفاضل واحد كما قال الشاعر بيت ولم ار امثال الرجال تفاوتاً
لدى المجد حتى عد الف بواحد، بل قد يرى واحداً كعشرة آلاف ويرى عشرة آلاف
دون واحد كما قال عليه السلام وهو اصدق قيلاً الناس كابل مائة لا تكاد تجد
فيها راحلة، والابل في تعارفهم اسم لمائة بعير فمائة ابل هي عشرة آلاف بعير
بل لو قيل قد يرى واحد كعالم وعالم كواحد لجاز كما قال عليه السلام وزنت بامتي
فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس بيت ليس من الله بمستنكر، ان يجمع
العالم في واحد

باب كون الانسان بين البهيمية والملكية،

الانسان

لما ركب تركيباً بين بهيمة وملك فشبهه للبهايم بما فيه من الشهوات البدنية من الماكل والمشارب والمناكح وشبهه للملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود صار واسطة بين جوهر رفيع ووضيع ولهذا قال تعالى وهديناه النجدين فالنجدان من وجه العقل والهوى ومن وجه الدنيا والآخرة ومن وجه الضلال والهدى ومن وجه موالاة الله وموالاة الشيطان المذكوران في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ومن وجه النور والظلمة المذكوران في هذه الآية اي الفضيلة والنقيصة ومن وجه الحيوة والموت المذكوران في قوله عز وجل اَوَمن كان ميتاً فاحييناه يعني ومن وفقه الله للهدى واعطاه قوة للبلوغ المدى فراعى نفسه وزكاها فقد افلح ومن حرمه التوفيق فاهمل نفسه ودساها فقد خاب وخسر كما قال عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها

هُدى

باب ما لاجله اوجد الانسان الانسان من حيث ما هو انسان فكل واحد كالآخر سواء فالارض من تربة والناس من رجل وانما يشرف بان يوجد كاملاً في المعنى الذي لاجله اوجد وبيان ذلك ان كل نوع اوجده الله تعالى في هذا العالم او هدى بعض الخلق الى ايجاده وصنعته فانه موجد لفعل يختص به وله غرض لاجله خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك ليبلغنا واثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس ليكون لنا جناحاً نطير به والمنشار والمنحت ليصلح بهما الباب والسرير ونحوهما والباب ليحرز به البيت فالفعل المختص للانسان ثلثة عمارة الارض المذكورة في قوله عز وجل واستعمركم فيها وذلك مابه تزجية المعاش لنفسه فقط او لنفسه وغيره وعبادته المذكورة في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وذلك هو الامتثال للباري عز وجل في اوامره ونواهيه وخلافته المذكورة في قوله عز وجل ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وغيرها من الآيات وذلك هو الاقتدا بالباري

على

على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس والحلم والاحسان والقصد منها ان يتبلغ بذلك الى جنة المأوى وجوار رب العزة تعالى وكل ما اوجد لفعل ما فشرفه بتمام وجود ذلك الفعل منه ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو والسيف للعمل المختص به في القتال ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لاجله اوجد كان ناقصاً فاما ان يطرح طرحاً او يرد الى منزلة النوع الذي هو دونه كالفرس اذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة او اعد اكولة فمن لم يصلح لخلافة الله ولا لعبادته ولا لاستعمار ارضه فالبهيمة خير منه ولذلك قال عز وجل في ذم الذين تكلفوا بهذه الفضيلة ان هم الا كالانعام بل هم اضل

التشكل

باب السياسة التي يستحق بها خلافة الله تعالى قد تقدم ان الخلافة تستحق بالسياسة وذلك بتحري المكارم الشرعية فالسياسة ضربان احدهما سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به والثاني سياسة غيره من ذويه وبلده ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره فامر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه فقال اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قال تفقهوا قبل ان تسودوا تنبيهاً انكم لا تصلحون للسيادة قبل معرفة الفقه والسياسة العامية ولان السايس يجري من المسوس مجرى ذي الظل من الظل ومحال ان يعوج ذو الظل ويستقيم ظله ولا حالة ولذلك روي ان السلطان ظل الله في الارض ولا حالة ان يهتدي المسوس مع كون السايس ضالاً قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر فحكم انه محال

ان يكون مع اتباعه خطوات الشيطان يامر الا بالفحشاء،

باب الفرق بين مكارم الشريعة وبين العبادة وعمارة الارض

۰ اما مكارم الشريعة فمبداها طهارة النفس بالتعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والاحسان وبالتعلم يتوصل الى الحكمة وباستعمال العفة يتوصل الى الجود وباستعمال الصبر يدرك الشجاعة والحلم وباستعمال العدل يصح الافعال ۰ فمن حصل له ذلك فقد تدرع المكرمة المعنية بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم ۰ وصلح لخلافة الله وصار من الربانيين والشهداء الصديقين ۰ واعلم ان العبادة اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة وليس كل عبادة مكرمة ۰ ومن الفرق بينهما ان العبادات فرائض معلومة وحدود مرسومة وتاركها يصير ظالما متعديا والمكارم بخلافها ولن يستكمل الانسان مكارم الشرع مالم يقم بوظايف العبادات فتحري العبادات من باب العدل وتحري المكارم من باب الافضال والنفل فلا يقبل نفل من اهمل الفرض ولا يتفضل من ترك العدل ولا يصح تعاطي التفضل الا بعد العدل ۰ فان العدل فعل ما يجب والتفضل الزيادة على ما يجب وكيف يصح تصور الزيادة على شيء هو غير حاصل في ذاته ۰ ولهذا قيل لا يستطيع الوصول من ضيع الاصول ۰ فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور ۰ وقد اشار تعالى بقوله بالعدل الى الاحكام وبالاحسان الى المكارم في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان ۰ وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ۰ ففعل الخير هو الزيادة على العبادة واما عمارة الارض فالقيام بما فيه تزجية الحيوة وصلاح المعاش ۰ فالانسان الواحد من حيث لم يكف امر معاشه بانفراده من ماكله وملبسه ومسكنه ولم يكن له سبيل الى ثباته في الدنيا الا بما يسد جوعته ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد لم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح له ولذلك قال عز

وجل

وجل ۰ ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ۰ ومتى كان سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يجب وكما يجب يكون سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله كما قال عليه السلام من طلب رزقه على ما سن فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك فسعيه هباء منثور ۰ كما قال تعالى ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ۰ وكان فيما يتولاه خادما للناس متسخرا بلا ارادة منه لخدمتهم حتى كانه من جملة البهايم التي سخرها الله تعالى لعباده فامتن عليهم بها في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة

باب كون الطهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله وكمال عبادته

۰ لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من كان طاهر النفس قد ازيل رجسه ونجسه فللنفس نجاسة كما ان للبدن نجاسة لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد بقوله تعالى ۰ انما المشركون نجس ۰ وبقوله والرجز فاهجر ۰ وبقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ۰ وانما لم يصلح لخلافة الله الا من كان طاهر النفس فان خلافته هو الاقتداء به على قدر طاقة البشر في تحري الافعال الالهية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل ۰ فكل اناء بالذي فيه يرشح ولن يعجز منك سوء عن عرف سوء ۰ ولهذا قيل من طاب نفسه طاب عمله ومن خبث نفسه خبث عمله ۰ وقال عليه السلام المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله ۰ بل قد اشار تعالى الى ذلك بقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ۰ وقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ۰ ولاجل انه لا يطيب عمل من خبث نفسه قال

تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله عليه السلام لا تدخل الملئكة بيتاً فيه كلب انه اشار بالبيت الى القلب واشار بالكلب الى الحرص والحسد ونحوهما ونبه ان نور الله لا يدخله اذا كان فيه ذلك واستدل على صحته ان الحرص يقال له الكلب انه يقال فلان احرص من الكلب ويقوي ذلك ما روي التقوى لا يسكن الا قلباً نظيفاً والى الطهارتين اشار تعالى بقوله عز وجل وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن كقول الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقية وقال عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد قال بعض الحكماء انما سمي الحواريون بذلك لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم من قولهم حورته اي بيضته وما روي انهم كانوا قصارين فاشارة الى هذا المعنى وان كان من لم يتخصص بمعرفة الحقائق تصور من هذا التفسير المهنة المعروفة بين العامة

باب فيما يرجع اليه في طهارة النفس الذي يطهر به النفس حتى تترشح لخلافة الله عز وجل وتستحق بها ثوابه هو العلم والعبادات الموظفة التي هي سبب الحياة الاخروية كما ان الذي يطهر به البدن الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك سماهما الحياة وسمى ما انزل الله تعالى في كتابه الماء فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم والعبادة حياة من حيث ان النفس متى فقدتهما هلكت هلاك الابد كما قال عز وجل في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال ابن عباس عنى بالماء القران اذ كان فيه طهارة النفس

قال

قال والاودية القلوب احتملته بحسب ما وسعته قال بعض العلماء في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به انه عنى القران كقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واجدر بصحة قوله فان الماء المنزل من السماء المختص بالطهارة الذي لا يسد غيره مسده هو هذا الماء اعني كلام رب العزة فاما المختص بطهارة البدن فقد يسد غيره مسده في الطهارة لان الذي ينبع من الارض يعمل عمله والذي يلزم تطهيره من النفس هو القوى الثلث قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود وقوة الحمية باسلاسها حتى ينقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم ويتولد من اجتماع ذلك العدالة فجميع الرذائل تنبعث من فساد هذه القوى اما من فساد الفكرة فيتولد منها الجربزة او البله واما من فساد القوة الشهوية فيتولد منها الشره او خمود الشهوة واما من فساد الحمية فيتولد منها التهور او الجبن ومن حصول هذه الاشياء او حصول بعضها يحصل اما الظلم او الانظلام فجميع رؤس الفضائل الخلقية اربعة وجميع رؤس الرذائل الخلقية ثمانية

باب بيان منازعة الهوى العقل اعلم ان مثل النفس الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير عالم ناصح والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه ذنب العقرب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته وكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وادب صاحب شرطته وجعله مؤتمراً لوزيره وسلطه على هذا العبد واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوساً لا سائساً ومدبراً لا مدبراً استقام امر بلده كذا ايضاً النفس متى استعانت

الميرة

بالعقل والتدبير وادبت الحمية وسلطته على الشهوة وقواها استتب امرها
والا فسدت ولهذا قد حذرنا الله غاية الحذر من اتباع الهوى فقال
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال في ذم من اتبعه افرأيت
من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال تعالى اخلد الى الارض اتبع
هويه وقال تعالى في مدح من عصاه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال عليه السلام اعدى عدوك لغيبة
بين جنبيك اشارة الى الهوى والعقل وان كان اشرف القوى وبه صار
الانسان خليفة الله في العالم فليس ذابه الا الاشارة الى الصواب كطبيب
يشير الى المريض بما يرى فيه برؤه فان قبل منه المريض والا سكت عنه ولذلك
جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة والممانعة ولهذا لا يتبين فضيلة
العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له وقال
تعدو الذئاب على من لا كلاب له ويتقي مريض المستاسد الحامي مربض
وايضاً مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله
وعقله خليفة موليه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه
فيما يفعله اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه بمنزلة فرس دفع اليه ليركبه
وشهوته سايس حينئذ ضم اليه ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا
السايس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب اتاه من مولاه وقد ضمن
كل ما يحتاج اليه عاجلاً وآجلاً كما وصفه تعالى ونزلنا عليك الكتاب
تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ
والنبي رسول اليه اتاه بالكتاب ليبين له ما يشكل عليه مما يقرا من
الكتاب وقبيح ان ينسى هذا المولى مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه
فيما وينقضه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسايسه
ويقيم سايس فرسه مقام خليفة ربه ومن وجه آخر الانسان

من

من حيث ما جعله الله عز وجل عالماً صغيراً وجعل بدنه كمدينة والعقل
كمدبر فيها وقواه من الفكر والخيال والحواس كجنده واعوانه والاعضا
كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته
صار بدنه كرباط وثغر ولنفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد اعداه فهزمهم
او اسرهم او قهرهم كما يجب حمد اثره اذا عاد الى حضرته كما ضمنه تعالى حيث
يقول فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد
الله الحسنى فدفاع الهوى اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل
اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وان ضيع ثغره واهمل رعيته
ذم اثره اذا عاد اليه كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته ان الله تعالى يقول للكافر يوم القيمة يا راعي السوء اكلت
اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك
وايضاً مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه
فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه معلماً فهو قمين بادراك حاجته القمن سزاوار شدن
من الصيد ومتى كان هو اخرق وفرسه جموحاً او حروناً وكلبه عقوراً اخرق
فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل معه مطيعاً فهو قمن
ان يعطب فضلاً عن ان يدرك ما طلب وللانسان مع هواه ثلث
احوال الاولى ان يغلبه الهوى كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه والثانية ان تغالبه فتقهره ويقهرها مرة واياه قصد بمدح المجاهدين
وعناه النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا اهواكم كما تجاهدون اعداكم
والثالثة ان يغلب هواه ككثير من الانبياء وبعض صفوة الاوليا وهذا المعنى
قصده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما من احد الا وله شيطان وان الله قد
اعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب
وجود الهوى فيه الفرق بين ما يشير به العقل وما يسوم به الهوى

من شان العقل ان يرى ويختار ابداً الافضل والاصلح فى العواقب وان كان على النفس فى المبداء موونة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يوثر ما يدفع به الموذى فى الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه فى العواقب كالصبى الرمد الذى يوثر اكل الحلاوات واللعب فى الشمس على اكل الاهليلج والحجامة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وايضاً فالعقل يرى صاحبه ماله وعليه والهوى يريه ما عليه دون ماله ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك الشى يعمى ويصم، ولذلك ينبغى للعاقل ان يتهم رايه ابداً فى الاشياء التى هى له لا عليه ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصى النظر فيه قبل امضاء العزيمة، وحتى قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير فى الكراهة قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وقال عز وجل فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وايضاً فان ما يرى العقل يتقوى اذا فزع فيه الى الله عز وجل بالاستخارة ويساعد عليه العقول الصحيحة اذا فزع اليها بالاستشارة وينشرح له الصدر اذا استعين فيه بالعبادة وما يشير به الهوى ضد ذلك، وايضاً فالعقل ما يرى بحجة وعذر والهوى يرى ما يريه بشهوة وميل وربما تشبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة وحجة مموهة كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول لطعام ردى اذا سئل عن فعله، قال بعض الحكماء اذا مال العقل نحو مولم جميل والهوى نحو ملذ قبيح فيتنازعا بحسب غرضهما ويتحاكما الى القوة المدبرة بادر نور الله الى نصرة العقل ووساوس الشيطان الى نصرة الهوى كما قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فمتى كانت القوة المدبرة من اولياء الشيطان ومحبيه لم تر نور الحق فعميت عن نفع الآجل واغترت بلذة العاجل فجنحت الى الهوى

لما

كما قال عز وجل، افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم فمتى كانت من حزب الله واوليائه اهتدى بنوره، فاستهانت بلذة العاجل وطلبت سعادة الآجل كما قال عز وجل، واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون، ومما نبه الله تعالى على فساد الهوى قوله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن، اى لو اعطى كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى ان يكون اغنى الناس واعلاهم منزلة وان ينال فى الدنيا الخير الابدى بلا مزاولة ولا تعلم لكان فى ذلك فساد العالم وقيل فى قول الله عز وجل، الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء، انه ضرب الشجرة الطيبة مثلاً للعقل والخبيثة مثلاً للهوى ففرع الطيبة النور والاسلام وفرع الخبيثة الكفر والضلال

ان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان محمود ومذموم فالمحمود من فعل الله تعالى وهى قوة جعلت للانسان لتنبعث بها النفس لنيل ما تظن ان فيه صلاح البدن، والمذموم من فعل البشر وهى استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة اذا غلبت واستتبعت الفكرة وذلك ان الفكرة بين العقل والشهوة فالعقل فوقها والشهوة تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة وولدت المقابح والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة ولهذا قد يسمى الهوى ارادة

باب فى ذكر الخاطر الذى يعرض من جهة العقل والهوى

اول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر والى ذلك اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الملك

اللمة

فوعد بالخير وتصديق بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ثم من بعدهما الارادة ثم العزم ثم العمل فالسانح علة الخاطر والخاطر علة الارادة والارادة وهي الهمة علة العزم والسانح والخاطر يعبر عنهما بالهاجس والواجس متجافى عنهما مالم يصيرا ارادة وعزماً فحق الانسان اذا خطر له خاطر ان يسبره عاجلاً فان وجد خيراً اباه حتى يجعله فعلاً وان وجده شراً بادر الى قمعه وقلعه قبل ان يصير ارادة ويطهر منه قلبه تطهير ارضه من خبيثات النبات وهذا المعنى اراد الحسن رحمه الله بقوله رحم الله عبداً وقف عند همه فان كان لله مضى والا كف قال بعض الحكماء ان تداركت الخطرة اضمحلت والا صارت شهوة وان تداركت الشهوة والا صارت طلباً وان تداركت الطلب والا صارت عملاً قال بعض الحكماء ان ولي الله اذا اتته لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى ببصيرته ظلمة ووجد روعة فاذا اتته لمة الرحمن انشرح صدره واولياء الشيطان بخلافه لقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لايومنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

السبر

باب حصول الخلق المحمود بطهارة النفس

قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلث فاصلاح الفكرة بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين الصدق والكذب في المقال وبين الجميل والقبيح في الفعال واصلاح الشهوة بالعفة حتى يسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية باسلاسها حتى يحصل الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب وتحصل الشجاعة وهي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين وباصلاح القوى الثلث تحصل للنفس العدالة وهذه جماع المكارم وطهارة النفس وحسن الخلق الممدوح بقول النبي عليه السلام اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم اخلاقاً والطفهم باهله ويعني باللطافة بالاهل تهذيبهم وتاديبهم المشار اليه بقوله عز وجل

يا

يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً والممدوح ايضاً بقوله صلى الله عليه وسلم احبكم الي احاسنكم اخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يالفون ويؤلفون وقيل جماع المكارم في قوله عز وجل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وذلك انه بالايمان يحصل العلم والحكمة وذلك باصلاح الفكرة والمجاهدة بالاموال والانفس تحصل العفة والجود واللذان هما تابعان لاصلاح الشهوة والشجاعة والحلم اللذان هما تابعان لاصلاح الحمية وعلى ذلك قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ذلك هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن ظلمك نهاية الحلم والشجاعة واعطاء من حرمك نهاية الجود ووصل من قطعك نهاية الاحسان

باب الفرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة

الطبع اصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد وكذلك الطبيعة والضريبة اعتباراً بضرب الدراهم والسجية اعتباراً بالنحت والنجر اعتباراً بنجر الخشبة والغريزة اعتباراً بما غرز عليه كل ذلك اسم للقوة التي لا سبيل الى تغييرها والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتباراً بالشامة التي في اصل الخلقة والسجية اسم لما سجي عليه الانسان من قولهم عين ساجية اي ساكنة خلقة واكثر ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره واما الخلق ففي الاصل كالخلق كقولهم الشرب والشرب والصرم والصرم لكن الخلق يقال في القوى المدركة بالبصيرة والخلق في الهيئة والاشكال والصور المدركة بالبصر وجعل الخلق تارة للقوى الغريزية ولهذا قال النبي عليه السلام فرغ الله من الخلق والخلق والرزق والاجل وتارة يجعل اسماً للحالة المكتسبة التي يصير الانسان بها خليقاً ان يفعل شيئاً دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه ولهذا خص كل حيوان بخلق في اصل خلقته كالشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر

للتغلب ويجعل تارة من الخلاقة اى الملاسة فكانه اسم لما مُرّن عليه الانسان ∴
من قواه بالعادة وقد روى افضل الاعمال الخلق الحسن ، وروى ما اعطى
الله احداً افضل من خلق حسن ، فجعل الخلق مرة للهيئة الموجودة في النفس
التي يصدر عنها الفعل بلا فكر وجعل مرة اسماً للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك
اسماء انواعها نحو العفة والعدالة والشجاعة ، فان ذلك يقال للهيئة والفعل
جميعا وربما سميت الهيئة باسم والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود فالسخاء
لاسم الهيئة التي عليها الانسان والجود اسم للفعل الصادر عنها فان كان قد يسمى
كل واحد منهما باسم الآخر واما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد
يعود وبها يكمل الخلق وليس للعادة فعل الا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الانسان
الى الفعل ، فاما ان تجذب السجية الى خلاف ما خلقت له فمحال ، والسجية اسم
لفعل الخالق والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق لكن ربما تقوى
العادة قوة محكمة حتى تعد سجية وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية

باب ، امكان تغيير الخلق ، اختلف الناس في الخلق فقال بعضهم هو من جنس
الخلقة ولا يستطيع احد تغييره عما جبل عليه ان خيراً وان شراً كما قال الشاعر
شعر وما هذه الاخلاق الا غرائز ، فمنهن محمود ومنها مذمم ، ولن يستطيع الدهر
تغيير خلقه ، لئيم ولا يستطيعه متكرم ، وتعلق ايضاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم
من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله ، وما روي ، فرغ الله من
الخلق والخلق والرزق والاجل ، وقال محال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق
وقال بعضهم يمكن تغيير ذلك فاستدل بما روي ، حسنوا اخلاقكم ، فلو لم يكن
لما امر به ، قال ولان الله عز وجل خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل
ولم يجعل العبد فيه عملاً كالسماء والارض والهيئة ، والثاني خلقه خلقة ما وجعل
فيه قوة رشح الانسان لاكماله وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى
الذي جعل فيه قوة النخل ، وسهل للانسان سبيلاً الى ان يجعله بعون الله

نخلاً

نخلاً وان يعفره افاداً قال والخلق من الانسان يجري هذا المجرى فانه لا
سبيل للانسان الى تغيير القوة التي تصير السجية وجعل له سبيلاً الى اسلاسها
ولهذا قال عز وجل وقد خاب من دسيها ولو لم يكن كذلك لبطل فائدة
المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال
للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعاً وقد
وجدناه في بعض البهائم ممكناً فالوحشي قد ينقل بالعادة الى التانس
والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جحج
جبلة سريعة القبول وبعضهم جبل جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط
وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل وارى ان من منع من تغيير الخلق فانه
اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت منه الانسان
تفاحاً ومن اجاز تغييره امكان ما في القوة الى الوجود وافاده باهماله نحو
النوى في انه يمكن ان يتفقد فيصير نخلاً فان يترك مهملاً حتى يعفن وهذا صحيح
ايضاً فاذاً اختلافهما بحسب اختلاف نظرهما

باب صعوبة اصلاح القوى الشهوية وما في
هذه القوة من المنفعة والمضرة اصعب هذه القوى الثلث مداواتاً
قمع الشهوة لانها اقدم القوى وجوداً في الانسان واشدها به تشبثاً
واكثرها منه تمكناً فانها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في
النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية ثم آخر ما توجد فيه قوة
الفكر والنطق والتمييز ولا يصير الانسان خارجاً من جملة البهائم واسر الهوى
الا باماتة الشهوات البهيمية او بقهرها وقمعها ان لم يمكنه اماتته اياها
فهي التي تضره وتغره وتعوقه وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه ومتى قمعه الغبط
او اماتها صار الانسان حراً نقياً بل يصير الهياً ربانياً فتقل حاجاته ويصير غنياً
عما في يدي غيره وسخياً بما في يده ومحسناً في معاملاته فان قيل فاذا كانت
الشهوة بهذه المثابة في الاضرار فاي حكمة اقتضت ان يبلى بها قيل الشهوة

اما ان تكون مذمومة اذا كانت مفرطة واهملها صاحبها حتى ملكت القوى
فاما اذا ادبت فهي المبلغة الى السعادة وجوار رب العزة وذاك ان الوصول
الى الآخرة بالعبادة ولا سبيل الى العبادة الا بالحيوة الدنيوية ولا سبيل الى الحيوة
الدنيوية الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظ البدن الا باعادة ما يتحلل منه
ولا يمكن تناول الاغذية الا بالقوة الشهوية فاذاً القوة الشهوية محتاج اليها
ومرغوب فيها ومقتضى الحكمة الالهية ايجادها وتزيينها كما قال عز وجل
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية لكن مثلها
مثل عدو تخشى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا
يستغنى عنه وعن الاستعانة به فحق العاقل ان ياخذ نفعه ولا يسكن اليه
ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق قول المتنبي اذا تصور في وصف
الشهوة وان قصدها فما اجود ما ارادها **شعر** ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدوا له ما من صداقته بد • وايضاً فهذه الشهوة هي المشوقة لعامة الناس
الى لذات الجنة من الماكل والمشارب والمناكح اذ ليس كل الناس يعرف اللذات
العقلية ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا الى ما وعدوا به من قوله عليه السلام
فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **باب**
ازدياد الانسان في الفضايل والرذايل بتعاطيهما • كل متعاط لفعل من
الافعال النفسية فانه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه ان خيراً فخير وان
شراً فشر فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبيرها وباحتمال كبارها يستحق الحمد ولهذا
قال امير المؤمنين رضي الله عنه الايمان يبدو نكتة بيضاء في القلب كلما ازداد
الايمان ازداد ذلك البياض واذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان
النفاق يبدو لمظة سوداء كلما ازداد ذلك ازداد السواد فاذا استكمل النفاق لمظه
اسود القلب كله فالانسان يكمل في الفضيلة باربع درجات اثنين في
الاعتقاد وهما ان يعتقد الحق ويجعل اعتقاده عن براهين واضحة وادلة

قاطعة

قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات متداعية واثنين في الفعل
وهما ان يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيتجنب الرذيلة
ويتوصل الى الفضيلة وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم
بها كما قال عليه السلام ه جعلت قرة عيني في الصلوة وكما انه يكمل باربع درجات
فانه ينتكس باربع درجات درجتين في الاعتقاد وهما ان لا يعتقد شيئاً من
العلوم الحقيقية فيبقى منها غفلاً وان يعتقد عن تقليد اعتقاداً فاسداً
فيتلطخ به ودرجتين في العمل وهما ان لا يتعود العادة الجميلة راساً وان يتعود
العادة القبيحة فمن صار في الفضيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه ومن صار في الرذيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممن
وصفهم الله تعالى اولئك الذين لعنهم الله واعمى ابصارهم ثم قال افلا
يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقيل لحكيم الا تعظ فلاناً فقال
ذاك على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل الى معالجة فتحه وللانسان مع كل
فضيلة ورذيلة ثلاث احوال اما ان يكون في ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها
ولهذا قال بعضهم من لم يخدم العلم لم يرعه والثاني ان يتوسطها فيقال هو
اخوها وصاحبها والثالث ان ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف كما اراد
فيقال هو ربها وسيدها ومنه قيل فلان رباني في العلم فان رب الشي
هو الذي يربيه وسيده هو الذي يملك سواده اي جمعه وغاية الفاضل في
الفضيلة ان تقع منه افعال الفضائل ابداً من غير فكر ولا روية لغلبة قواها
عليه وبعد ما بينها منه كالصانع الحاذق في صنعته وغاية الرذل في الرذيلة ان
تقع منه الرذائل بغلبة قواها عليه ولهذا حد الخلق بانه حال للانسان داعية الى
الفعل من غير فكر ولا روية **باب** الفرق بين ما يحمد ويذم الفرق بين الخلق
والتخلق ان التخلق معه استثقال واكتياب ويحتاج الى بعث وتنشيط
من خارج والخلق معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج الى بعث من خارج والتخلق

والتشبه بالافاضل ضربان محمود ومذموم فالمحمود ما كان على سبيل
الارتياض والتدرب ويتحراه صاحبه سراً وجهراً على الوجه الذى ينبغى
واياه قصد بقوله سه ولن تستطيع الخلق حتى تخلقا بل قال صلى الله
تعالى عليه وسلم ما العلم الا بالتعلم وما الخلق الا بالتخلق والمذموم ما
كان على سبيل المراياه ولا يتحرى صاحبه الا حيث يقصد ان يذكر به ويسمى
ذلك رياء وتصنعاً ولن ينفك صاحبه من اضطراب يدل على تشبعه وتشبعا به
كما قال كليلة الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفاً زادك تعقيفاً وعلى ذلك
قول الشاعر شعر واسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شئ فى طباعك ضده
واياه قصد عمر رضى الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما فى نفسه فضحه الله
وحال المتشبع كالجرح يندمل على فساد فلا بد ان ينبعث وان كان بعد حين
شعر فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد وكما ان العضو
المفلوج لا يطاوع صاحبه فى تحريكه وان جاهده فمتى حركه الى اليمين تحرك نحو
الشمال كذا ايضاً الشره والظلوم والمتهور وان جاهدوا انفسهم فى اخفائها
فان قواهم تأبى مطاوعتهم وقد ذم عليه السلام ذلك فقال المتشبع بما
ليس عنده كلابس ثوبى زور تنبيهاً بانه كاذب بقوله وفعله فيتضاعف
وزره وعلى ذلك حمل قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واياه
قصد النبى عليه السلام الشرك اخفى فى امتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة
الظلماء واقبح الرياء النفاق فى الدين واقبح النفاق ما كان فى اصل الاعتقاد
وهو اظهار الايمان مع استبطان الكفر ولذلك جعل الله تعالى عقابهم اعظم
فقال ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار باب سبب اختلاف الناس
فى اخلاقهم جميع الفضائل النفسية ضربان نظرى وعملى وكل ضرب منها يحصل على
وجهين احدهما بتعلم بشرى يحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة ويتقوى الانسان
فيه درجة فدرجة وان كان فيهم من يكفيه ادنى ممارسة ومنهم من يحتاج الى زيادة

ممارسة

ممارسة وذلك بحسب اختلاف الطبايع فى الذكاء والبلادة والثانى يحصل
بفيض الهى نحو ان يولد الانسان فيصير من غير معلم من البشر عالماً كعيسى
ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وغيرهما من الانبياء الذين حصل لهم من
المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء وذكر بعض الحكماء ان ذلك قد يحصل
لغير الانبياء ايضاً فى الفينة بعد الغنية وكل ما كان يتدرب فقد يكون بالطبع الغنية
كصبى يوجد صادق اللهجة وسخياً وجرياً وآخر على عكس ذلك وقد يكون بالتعلم
والعادة فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة وتعلماً فهو كامل الفضيلة ومن كان رذلاً
بثلاثتها فهو كامل الرذيلة باب وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة حق الانسان
فى كل فضيلة ان يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء
امكنه ذلك ان يبرزه فعلاً او لم يمكنه وذلك ان يكون على هيئة الاسخياء
والشجعان والحكماء والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام يظهر
فيه نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره يبرز فيها عدالته وقد قيل لبعض الحكماء
هل من جود يعم به الورى فقال نعم ان تحسن خلقك وتنوى لكل احد خيراً
وقال صلى الله عليه وسلم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوها باخلاقكم واعلم
ان كل فعل يحتاج فيه الى ايجاده وتجويده وتزيينه دنيوياً كان او اخروياً لكن متى
كان اخروياً يحتاج فيه مع ذلك الى امور لا تتم ولا تكمل الا بها وهو انه يجب ان
يتعاطاها قصداً الى المكرمة كما قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله ويتحراه بخلوص الطوية كما قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وان لا يقصد بها منفعة دنيوية او دفع مضرة فانه يكون
لفعله ذلك تاجراً ويجب عند بعض المحققين ان لا يطلب به منفعة اخروية
ايضاً فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل ذلك بانشراح صدر
فهو اولى ممن يفعله بمجاهدة نفس ولقد قال صلى الله وسلم ان استطعت
ان تعمل لله فى الرضى باليقين فافعل والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقولهم الحق

تر فهو باعتبار من لم يتهذب نفسه ولم يزل مرضه شعر فمن يك ذا فم
مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا • فاما من كمل فانه يستطيب الحق وان
ثقيلاً كما قال صلى الله عليه وسلم • وجعل قرة عيني في الصلوة • ومن اصلح
خلقه وهذب نفسه فهو اعظم الملكين فمن ملك نفسه وقواها وهذبها
وزكاها فقد اطلع بذلك على ملكوت السموات والارض وملك الطوع جيش
بلا عطايا نثره وقد نبه عز وجل على ذلك بقوله • اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكاً وآتيكم ما لم يؤت احداً من العالمين فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل
الملك عاماً لهم تنبيهاً على المعنى الذي ذكرت وعلى ذلك قوله عز وجل ام يحسدون
الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم
ملكاً عظيماً **باب** انواع نعم الله الموهوبة والمكسوبة • نعم الله تعالى وان كانت
لا تحصى مفصلة كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • فانها
بالقول المجمل خمسة انواع الاول هو اعلاها واشرفها السعادة الاخروية
واياها قصد بقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وذلك هو الخير المحض
والفضيلة الصرف وهو اربعة اشياء بقاء بلا فناء • وعلم بلا جهل • وقدرة
بلا عجز • وغنى بلا فقر • ولا يمكن الوصول الى ذلك الا باكتساب الفضايل
النفسية واستعمالها كما قال عز وجل ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً • واصول ذلك اربعة اشياء العقل
وكمالها العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها
الانصاف وهي المعبر عنها بالدين • ويكمل ذلك بالفضايل البدنية وهي اربعة
اشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر • وبالفضايل المطيفة بالانسان
وهي اربعة اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى تحصيل
كل ذلك الا بتوفيق الله تعالى • وذلك باربعة اشياء هدايته ورشده وتسديده

الجذ

وتأييده

وتأييده فجميع ذلك خمسة انواع هي عشرون ضرباً ليس للانسان مدخل في
اكتسابها الا فيما هو نفسي فقط واعلم ان الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية
هي الخيرات الاخروية وما عداها فتسميته بذلك اما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك
او نافعاً فيه فكل ما اعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة وهذه الاشياء
التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ما هو
نافع في جميع الاحوال وعلى كل وجه ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون
وجه وربما يكون ضره اكثر من نفعه فحق الانسان ان يعرفها بحقايقها حتى لا
يقع الخطاء عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس فالناس
في متحرياتها طالب لخير وهارب لشر كما قال كل يحاول حيلة يرجو بها دفع
المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار الغنى على الدعة
لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ويعتقد في الشي انه رزق نافع وحشوه
سم ناقع فلذلك يحق على العاقل ان يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب
حقيقته لئلا يكون كمن يريد حبلاً يتعلق به فراى حية فظن انها مبتغاه
فاخذها فلدغته وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات ثلاث
مؤثرة لذاتها ومؤثرة لغيرها ومؤثرة تارة لغيرها ومؤثرة تارة لذاتها فالمؤثرة
لذاتها السعادة الاخروية والفضيلة والمؤثرة لغيرها الدراهم والدنانير فانا لو تصورنا
ارتفاع الضرورات التي تستدفع بها لكانت هي والحصباء سواء والمؤثرة تارة
لذاتها وتارة لغيرها كصحة الجسم فمعلوم ان الرجل وان اريدت للمشي فالانسان يريد صحة
الرجل وان استغنى عن المشي ويقال ايضاً الخيرات ثلاث نافع وجميل ولذيذ
والشر ثلثة ضار وقبيح ومولم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما مطلق وهو الذي
يجمع الاوصاف الثلثة في الخير كالحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة وفي الشر كالجهل
فانها ضار وقبيح ومولم والثاني مقيد وهو الذي جمع شيئاً من اوصاف الخيرات
وشيئاً من اوصاف الشرور فرب نافع موذ كجدع قصير انفه فانه وان نفعه في

ادراك النار فقد آذاه ورب نافع قبيح كالحمق فانه وان نفع من حيث
ما قيل استراح من لا عقل له فهو جدا قبيح ورب نافع من وجه ضار
من وجه آخر كمن في سفينة فخاف الغرق فالقى متاعه في الماء فتخلصت
السفينة وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول مدة واعم عائدة فهو افضل
فحق العاقل ان يرغب الى الله عز وجل في ان يعطيه ما فيه مصلحة مما لا
سبيل بنفسه الى اكتسابه وان يبذل جهده مستعينا بالله تعالى في اكتساب
ما له كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف ومن ضيع
انفس المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دني الهمة راض بخسيس الحال واشرفها
ما اذا حصل لم يغصب ولم يحتج في حفظه الى اعوان وحفظة وكان نافعا عاجلا
وآجلا ومطلقا في كل حال وكل زمان ومكان وذلك هو الفضائل النفسية
لا سيما العقل والعلم فاما القنيات الجالبة من الجاه والمال فانها تقال له
الخيرات المتوسطة لانها تنجذب الى الفضيلة مرة والى الرذيلة مرة لانها
سبب للخيرات اذا كانت مع العقل وسبب للشر اذا كانت مع الجهل
وقد نبه الله عز وجل على كون ذلك سببا للشرور بقوله انما اموالكم واولادكم
فتنة وقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا ولذلك قيل السعيد هو الخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا كان
او ضعيفا ان قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع وهل بينها فرق قيل
اما الخير المطلق فهو المختار لاجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل
بل قد قيل هو الذي يتشوقه الكل بلا مثنوية فان الكل بالحقيقة يطلب الخير
وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فمقصده الخير ويصادفه الشر وهو المجتبى
من اجل نفسه والمجتبى غيره من اجله قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير بخير
بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة فجعل الخير المطلق الجنة والشر المطلق النار
كما ترى وقد يقال لكل ما يتوصل به الى الخير خير ولهذا قد سمى الله تعالى المال خيرا

في

في قوله ان ترك خيرا لكن المال والجاه في الحقيقة قد يكونان خيرا لبعض
الناس وشرا لبعضهم فمعلوم انه كان شرا لمن قال فيه تعالى يحسب ان
ماله اخلده ، واما السعادة المطلقة فحسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي
تقدم ذكرها من البقا بلا فنا والقدرة بلا عجز والعلم بلا جهل والغنى بلا فقر
وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات الاربع سعادة وهي الستة
عشر المتقدمة ويضادها الشقاوة ، واما الفضيلة فاسم لما يحصل به
الانسان مزية على غيره وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها
الرذيلة ، واما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير والنافع
في الشيء ضربان ضروري وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به كالعلم
والعمل الصالح للمكلفين في البلوغ الى النعيم الدائم ، وغير ضروري وهو الذي قد
يسد غيره مسده كالسكنجبين في كونه قامعا للصفراء فان ذلك قد يسد غيره
مسده ، وكل نافع قد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك **باب**
حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض ، قد ثبت بما تقدم ان الخيرات
والفضائل خمسة انواع ، اخروية ، ونفسية ، وبدنية ، وخارجة ، وتوفيقية فيجب
ان نعلم ان بعض ذلك يحتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد
ذلك لم يصح وجود الآخر او خارجة ناقصة بحيث لو لم يوجد لاختل حالة الآخر
وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب
الفضائل النفسية ، ولذلك قال عز وجل ، ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ، فنبه انه لا مطمع لمن اراد الوصول
اليها الا بالسعي ولا سبيل الى الفضائل النفسية الا بصحة البدن وقوته ، ولانه
لا غناء لكمال الفضائل النفسية والبدنية من الفضائل الخارجة فانه وان امكن
حصولها لمن لا اهل له ولا مال ولا عشيرة فانه لا يكمل الا بها **باب الفضائل**
المطيفة بالانسان قد تقدم ان ذلك بالقول المجمل اربعة اشياء المال

والاهل والعز وكرم العشيرة وان هذه الاشياء نافعة في بلوغ الفضيلة
الحقيقية والسعادة الاخروية وجارية مجرى الجناح المبلغ وان لم تكن
الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية فاما المال فصاحبه يتمكن من فضائل
اذا فقده نكل بلوغها فمعلوم ان كثيرا من القرب كالزكوة والحج يثكله الفقير
فالفقير في تحري المكارم كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز متصيد بلا جناح
وفضله مغطى كماء تحت الارض ونار كامنة في الصخرة وما اصدق ما قال الشاعر
والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة وذل   وقول الآخر   فلا مجد في الدنيا
لمن قل ماله   ولا مال في الدنيا لمن قل مجده   وكان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول اللهم اني اسئلك الهدى والتقى والعفة والهدى وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال واما الاهل فنعم العون
على بلوغ السعادة فمن كثر اهله وخاصته صار له بهم عيون وآذان وايد وقال
تعالى حاكيا عن لوط عليه السلام لو ان   وقال الشاعر
الم تر ان جمع القوم يخشى   وان حريم واحدهم مباح   وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم في نفع الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث صدقة دارة
وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ريح الولد من
رائحة الجنة وقال نعم العون على الدين المراة الصالحة فالمراة مزرعة الرجل
قيضها الله تعالى ليزرع فيها نوعه كما قال عز وجل نساؤكم حرث لكم
واما العز فبه يتأبى عن تحمل الذل ومن لا عز له لا يمكنه ان يذود عن حريمه
ولذلك قيل الدين والسلطان اخوان توامان وقرينان موتلفان ومؤديان
الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل الدين اس والسلطان حارس
وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا
لقهرها اولى البصائر وقال عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض واما كرم العشيرة فانه يقال له الحسب والشرف اخص

نكل اي هلكت وصرم

العقيض

بمآثر

بمآثر الاباء والعشيرة ولذلك يقال للعلوية اشراف ومن الناس من
لا يعد شرف الاصل فضيلة فقال المرء بنفسه واستدل بقول امير المؤمنين
رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقوله قيمة كل امرء ما يحسنه وانشد
كن ابن من شئت واتخذ ادبا   يغنيك محموده عن النسب   وقول
الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس ذلك كما ظن لان كرم
الاعمام والاخوال مخيلة لكرم المرء مظنة له فالفرع وان كان قد يفسد احيانا
فمعلوم ان اصله يورث الفضيلة والرذيلة فانه لا يكون من النخل الحنظل
ومن الحنظل النخل ولذلك قال   وما يك من خير اتوه فانه   توارثه
آباء آبائهم قبل   وهل ينبت الخطي الا وشيجه   وتغرس الا في منابتها النخل
وقيل   وابن السري اذا سرى اسراهما   ويبين ذلك ان الاخلاق
نتائج الامزجة ومزاج الاب كثيرا ما يتأدى الى الابن كالالوان والخلق
والصورة ومن اجل تأديها اليه قال صلى الله تعالى عليه وسلم تخيروا
لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن وما ذكر من قول امير المؤمنين رضي
الله عنه الناس ابناء ما يحسنون فحث للانسان على اقتباس العلى ونهي
عن الاقتصار على مآثر الاباء وان المآثر الموروثة قليلة سريعة الفنا ما لم
يضامها فضيلة النفس لان ذلك انما جعل لكي يوجد الفرع مثله ومتى اخلف
الفرع وتخلف فكانه يخبر باحد شيئين اما بكذبه في انتسابه الى ذلك العنصر
وما فيهما حظ المختار والمحمود ان يكون الاصل راسخا في الفضل والفرع شامخا
كما قال الشاعر   زانوا قديمهم بحسن حديثهم   وكريم اخلاق وحسن خصال
ومن لم يجمع له الامران فلان يكون شريف النفس دني الاصل اجمل من ان يكون
دني النفس شريف الاصل   فما الحسب الموروث لا در دره   بمحتسب
الا باخر مكتسب   اذا العص لم يثمر وان كان شعبة   من الثمرات اعتده الناس
في الحطب   ومن كان عنصره في الحقيقة سنيا وهو في نفسه دنيا فذلك

أي اما من اهماله نفسه وسوسها واما لتعوّد عادات قبيحة وصحبة اشرار
وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر فليس سبب الرذيلة شيئاً واحداً
الفضايل الجسمية قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء ان
يكون صحيح البدن بريّاً من الامراض الشاغلة عن تحرّي الفضايل العقلية وليس كذلك
فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربّان الذين بهما صارا صانعاً ربان
وربّاناً وجميع اجزاء البدن بالقول المجمل اربعة العظام التي تجري للبدن كالالواح
واللحم الذي يجري مجرى الحشو للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشاء للسفينة
والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي يشدّ به الالواح لجميعها فاذا اعتدلت
هذه الاربعة بان يعتدل فيها الاربع القوى وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة
والدافعة سمّي ذلك صحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به واما القوة
وهي جودة تركيب هذه الاركان الاربعة وهي العظام والعصب واللحم
والجلد وما يتبعها وبها يحصل البدن للسعي والتصرّف في امور الدنيا والآخرة
واما الجمال فنوعان احدهما امتداد القامة الذي يكون من الحرارة الغريزية
فانّ الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء البدن الى العلوّ كالنبات اذا نجم كلما
كان الطلب للعلوّ في منبته كان اشرف في جنسه ولاعتبار بذلك
استعمل في كل ما جاد في جنسه العالي والفايق وكثر المدح بطول القامة كما قال
الشاعر كانّ زرور القبطرية علّقت علايقها منه بجذع مقوّم آخر القبطرية
اشم طويل الساعدين كانما يناط نجادا سيفه بلواء والثاني اشم
من الجمال ان يكون معتدلاً قويّ العصب طويل الاطراف ممتدّها رحب الذراع
غير مثقل بالشحم واللحم كما قال الشاعر فتىً قدّ قدّ السيف لا متضايل
ولا رهل لبّاته واباجله ولا يعني بالجمال ههنا ما يتعلق به الشهوة من الرجال
والنساء فذلك انوثية وانما يعني به الهيئة التي لا ينبو الطباع عن النظر
اليها وهو ادلّ شيء على فضيلة النفس لانّ نورها اذا اشرق تادّى الى البدن

اشراقها

اشراقها وكل شخص له حكمان احدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر
من قبل نفسه وهو مخبره وكثيراً ما يتلازمان ولذلك فزع اصحاب الفراسة
في معرفة احوال النفس اوّلاً الى الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلّ صورة
حسنة يتبعها نفس رديّة فنقش الخواتم مقروّ من الطين وطلاقة الوجه
عنوان ما في النفس وليس في الارض قبيح الاّ ووجهه احسن ما فيه وقال
صلى الله تعالى عليه وسلّم اطلبوا الحاجات عند حسان الوجوه وقال عمر الى حسان الوجوه نسخه
رضي الله تعالى عنه اذا بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم فالوجه
والعين تظهر فيهما آثار النفس وكالمرآة تستدلّ بهما عليها ولذلك يظهر فيهما
اثر سرور النفس وحزنها ورضاها وسخطها ولذلك عبّر بالوجه عن الجملة وعن رئيس
القوم ايضاً فقيل فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال عزّ وجلّ كلّ شيء هالك
الاّ وجهه وكون الوجه المقبول شيء دلالة على فضيلة النفس وان لم يكن حكماً
لازماً فهو على الاعمّ الاكثر وحكي انّ المأمون استعرض جيشاً فمرّ به رجل قبيح
الوجه فاستنطقه فوجده الكن فامر باسقاطه وقال انّ الروح اذا كانت
ظاهرة كانت صباحة واذا كانت باطنة كانت فصاحة واراه لا ظاهر له
ولا باطن وكفاك من البيان في فضل جمال الاسم قول الله عزّ وجلّ انّ الله جمال الاسم
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وقال تعالى وزادكم في الخلق
بسطة واما طول العمر فلولاه لقلّ حظّ الانسان من السعادات الدنيوية
التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية الفضايل التوفيقية
التوفيق موافقة ارادة الانسان وفعله قضاء الله عزّ وجلّ وقدره وهو وان
كان موضوعاً في الاصل على وجه يصح استعماله في السعادة والشقاوة فقد صار
متعارفاً في السعادة فقط والاتفاق مطاوعة عا التوفيق لكن قد يستعمل في
السعادة والشقاوة جميعاً فيقال اتفاق جيد واتفاق رديّ والتوفيق ممّا لا
يستغني الانسان في كل حال كما قيل لحكيم الذي لا يستغني عنه احد في كل حال فقال

التوفیق وانشد   اذا لم یکن عون من الله للفتی   فاکثر ما یجنی علیه اجتهاده   والسعادة التوفیقیة هی الهدایة والرشد والتسدید والتایید فیجب ان یعلم ان لا سبیل لاحد الی شیء من الفضایل الا بهدایة الله تعالی ورحمته فهی مبداء الخیرات ومنتهاها کما قال اعطی کل شیء خلقه ثم هدی   وخاطب عز وجل الناس فقال ولولا فضل الله علیکم ورحمته ای هدایته ما زکی منکم من احد ابداً ولکن الله یزکی من یشاء وقال صلی الله تعالی علیه وسلم ما احد یدخل الجنة بعمله فقیل ولا انت یا رسول الله فقال ولا انا الا ان یتغمدنی الله برحمته ای بهدایته تنبیهاً انه توهمت رحمته مرتفعة ابتداءً وانتهاءً ما کان لنا سبیل الی ذلک   وللهدایة ثلث منازل فی الدنیا الاول تعریف طریق الخیر والشر المشار الیهما بقوله وهدیناه النجدین   وقد خول الله تعالی الهدی کل مکلف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة الرسل وایاه عنی بقوله تعالی فاما ثمود فهدیناهم فاستحبوا العمی علی الهدی والثانی ما یمد به العبد حالاً فحالاً بحسب استزادته من العلم والعمل الصالح وایاه عنی بقوله تعالی والذین اهتدوا زادهم هدی   والثالث نور الولایة التی فی افق نور النبوة وایاه عنی بقوله   قل ان هدی الله هو الهدی فاضاف ذلک الی نفسه تعظیماً له ثم قال هو الهدی فجعله الهدی المطلق وبقوله عز وجل یا ایها الذین امنوا ان تتقوا الله یجعل لکم فرقاناً ای نوراً یفرقون به بین الحق والباطل وکل ذلک یسمی النور والحیاة نحو اومن کان میتاً فاحییناه وجعلنا له نوراً یمشی الایة   وقال تعالی افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علی نور من ربه   وبتحری هذه المنازل الثلث یتوصل الی الهدایة للجنة المذکورة فی قوله عز وجل   وقالوا الحمد لله الذی هدانا لهذا وما کنا لنهتدی لولا ان هدینا الله   والرشد عنایة الهیة تعین للانسان عند توجهه فی اموره فیقویه علی ما فیه صلاحه واکثر ما یکون ذلک

من

من الباطن نحو قوله تعالی   ولقد اتینا ابراهیم رشده من قبل وکنا به عالمین   وکثیراً ما یکون ذلک بتقویة العزم او بفسخه والیه یتوجه قوله تعالی واعلموا ان الله یحول بین المرء وقلبه   والتسدید ان تقوم ارادته وحرکاته نحو الغرض المطلوب لیهجم علیه فی اسرع مدة یمکن الوصول فیها الیه وهو المسؤل بقوله تعالی اهدنا الصراط المستقیم   والنصرة من الله تعالی معونة الانبیاء والاولیاء وصالحی العباد بما یؤدی الی صلاحهم عاجلاً واجلاً وذلک یکون تارة من خارج بمن یقیضه الله تعالی فیعینه وتارة من داخل بان یقوی قلوب الاولیاء او یلقی رعباً فی قلوب الاعداء وعلی ذلک قوله تعالی انا لننصر رسلنا والذین امنوا فی الحیوة الدنیا ویوم یقوم الاشهاد وقوله عز وجل ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون   واما ما یختص بسعادة الدنیا ولا یعتبر فیه العاقبة فیقال له الدولة والدولة وعلی هذا قوله تعالی   وتلک الایام نداولها بین الناس وقوله تعالی فی صفة الفیء کیلا یکون دولة بین الاغنیاء منکم   والتایید تقویة امره من داخل بالبصیرة ومن خارج بقوة البطش وللاول قال تعالی اذ ایدتک بروح القدس والعصمة فیض الهی یقوی بها الانسان علی تحری الخیر وتجنب الشر حتی یصیر کمانع له من باطنه وان لم یکن منعاً محسوساً وایاه عنی بقوله تعالی ولقد همت به وهم بها لولا ان رای برهان ربه   وقد روی ان یوسف علیه السلام رای صورة یعقوب صلی الله علیه وهو عاض علی ابهامه فاحجم ولیس ذلک بمانع ینافی التکلیف کما تصوره بعض المتکلمین   فان ذلک کان تصوراً منه وتذکراً لما کان قد حذره وعلی هذا قال کذلک لنصرف عنه السوء والفحشاء   ومن عصمته تعالی ان یکرر الوعید علی من یرید عصمته کیلا یغفل ساعة عن مراعاة نفسه کما قال تعالی للنبی علیه السلام   ولو تقول علینا بعض الاقاویل لاخذنا منه بالیمین ثم لقطعنا منه الوتین   واعلم ان [illegible]

تعالى للعبد وتسديده وعصمته ونصرته يكون بما يخوّل من الفهم الثاقب والسمع
الواعي والقلب المراعي وتقييض الناصح له والرفيق الموافق وامداده من المال
بما لا يقعد به عن مغزاه قلّته ولا يشغله عنه كثرته ومن العشيرة والعزّ ما
يصونه عن سفاهة السفهاء وعن الغضّ منه من جهة الاغبياء وان
يخوّله من كبر الهمّة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التسفف الدنيّه والتأخر عن بلوغ التسفف
منزلة سنيّه   ما يتولّد من الفضايل النفسيّه   امهات الفضايل النفسيه
وان كنّ اربعاً فلهنّ بنات هنّ امهات لفضايل أُخر وبيان ذلك انّ العقل
متى تقوّى تولّد من حسن نظره جودة الفكرة وجودة الذكر ومن حسن فعله
الفطنة وجزالة الراى وتولّد من اجتماع اربعتها جودة الحفظ وجودة الفهم
والشجاعة متى تقوّت تولّد منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة
والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصّة بالرجولية كما قال الشاعر
خلقنا رجالاً للتجلّد والاسى   وهنّ الغواني للبكاء والمأتم والعفّة
اذا تقوّت ولدت القناعة والقناعة تمنع من الطمع في مال غيره فتولّد
الامانة   والعدالة اذا تقوّت تولّد الرحمة والرحمة هي الاشفاق من ان
يفوت ذا حق حقّه فهي تولّد الحلم والحلم يقتضي العفو والانسانية تجمع
هذه الفضايل   وذاك انّ الانسانيّة هي الفضايل النفسيّة المختصّة بالانسان
ولقدر ما يكتسبه الانسان يستحقّها وفيها تفاضل كثير كما تقدّم في الفرق ما
بين الانسان والانسان فمنهم من قد ارتفع حتّى التحق بافق الملك فلو تصوّرنا
ملكاً جسميّاً لكان هو اياه لارتفاعه عن الانسانيّة الّا بالصورة التخطيطية وعلى
هذا قوله عز وجل انْ هذا الّا ملك كريم   ومنهم من اتّضع حتّى صار في افق
البهايم فلو تصوّرنا كلباً او حماراً منتصب القامة متكلّماً لكان هو اياه لانسلاخه
من الانسانيّة الّا بالصورة التخطيطيّة   وعلى هذا قوله عز وجل ان هم الّا
كالانعام بل هم اضلّ   ومنهم من هو في اوساط هذين في درجة من درجات

لها كثيرة ولهذا اصحّ ان يقال فلان اكثر انسانيّةً من فلان وما يختص به لفظ
الانسانيّة هو الاخلاق والافعال المحمودة   فامّا المذمومات من الاخلاق فيشارك
الانسان فيها البهايم والشياطين   وامّا المروّة فلها اشتقاقان ففي احدهما
تقتضي انّ تكون هي والانسانيّة متقاربتين وهو ان تجعل من قولهم مرؤ الطعام
وامراه اذا تخصّص بالمرى لموافقته الطبع فكانّها اسم للاخلاق والافعال التي
تقبلها النفوس السليمة   فعلى هذا يكون اسماً للافعال المستحسنة كالانسانيّة
والثاني ان تكون من المرء فيجعل اسماً للمحاسن التي يختصّ بها الرجل دون المرأة
فتكون كالرجوليّة وذلك اخصّ من الانسانيّة اذ الانسانيّة يشترك فيها الرجال
والنساء والمروّة اخصّ فكثيراً ما يكون فضيلة للمرأة يكون رذيلة للرجل كالبله
والخفر والبخل والجبن ولهذا قيل افضل اخلاق الرجال اراذل اخلاق النساء الخفر
فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهنّ   وقيل لمعوية رضي الله عنه ما المروّة فقال
المعام الطعام وضرب الهام   وقيل للاحنف فقال ان لا تفعل في السرّ ما تستحيي
منه في العلانية   وقيل لآخر فقال جماعها في قول الله تعالى انّ الله يأمر بالعدل
والاحسان الآية   وامّا الكرم فاسم لجماعة الاخلاق والافعال المحمودة اذا ظهرت
بالفعل والحرّيّة مثله لكن يقال ذلك فيمن لا يستعبده المطامع والاغراض
الدنيويّة وذكر بعض الحكماء انّ الحرّيّة يقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا
يقال الّا في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالاً في تجهيز جيش في سبيل الله او تحمّل
حمالة يرقي بها دماء قبيلة فكلّ كرم حرّيّة وليس كلّ حرّيّة كرماً   وايضاً فالحرّيّة
يتعلّق بالتظلّف عن الاخذ اكثر والكرم يتعلّق بالانفاق اكثر ويضادّ الكرم اللوم التظلّف
والحرّيّة العبوديّة اعني المذكورة في قوله   والعبد لا يطلب العلا   ولا يعطيك
شيئاً الّا اذا رهبا   وكما انّ الكرم اعمّ من الجود فاللوم اعمّ من البخل ولا يدخل في الحرّيّة
والكرم النساء فانهنّ مستعبدات ولذلك روي لو امر الله مخلوقاً بعبادة مخلوق
لامر النساء بعبادة ازواجهنّ   ان قيل ما حقيقة قول الله تعالى انّ اكرمكم عند الله

اتقيكم قيل لما كان الكرم اسماً للافعال المحمودة التي تقدم ذكرها وهذه الافعال
انما تكون فاضلة اذا كانت عن علم وقصد بها اشرف الوجوه اي وجه الله
تعالى وذلك هو التقوى فليست التقوى الا العلم وتحري الافعال المحمودة فاذاً
كل من هو اتقى كان اكرم والعزيز الذي يتأبى تحمل المذلة واشتقاقه من العزاز
وهو كالمتظلف في الامتناع من تناول الشهوات المذلة واصله من الظلف اي الارض
الصلبة وفرق بعض الحكماء بين العزيز والكريم فقال الكريم يأبى ان يقضى له والعزيز يأبى
ان يقضى عليه والظرف اسم لحالة تجمع عامة الفضايل النفسية والبدنية والخارجية تشبيهاً
بالظرف الذي هو الوعاء ولذلك قال اعرابي فلان حاضن الشرف ومقر الفضل
ولكونه واقعاً على كل ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة ظريف ولمن حسن لباسه
واثاثه ورياشه ظريف فالظريف اعم من الحرية والكرم واما الفتوة فكالمروة
فانها اسم لما يختص به الفتى من الفضايل الانسانية لكن هي بالرجولية اشبه وقد
استعارت الصوفية لفظ الفتوة للتصوف لكونها مشاركة له في جميع افعالها
الا في الغرض لان غرض الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفة
استجلاب محمدة الرحمن بل مجرد مرضاته تعالى واما الحسب فقد يقال فيما يختص
به الانسان فيعده من مآثره وقد يقال فيما يؤثر عن آبائه والشرف نحوه لكن اكثر
ما يقال فيما يؤثر عن الآباء في تلازم الفضايل النفسية بعضها لبعض
العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة وساير الفضايل تتلازم فان العقل
اذا اشرق عقل صاحبه عن الاقدام على ما يورثه مذمة ويحمله على الاقدام على المحامد
التي تورثه المحمدة وعلى ان يسمح بفضلات ما في يده لمن يحتاج اليه وان يبذل
لكل ذي حق حقه وذلك هو العفة والشجاعة والعدالة وكذا اذا كان عدلاً
حمله عدله على ترك تناول ما لا يجوز تناوله وان لا يحجم عما يلزمه الاقدام عليه وان لا
يبخل بفضلات ما في يده واذا كان شجاعاً لا يقهره شهوته على تناول ما لا
يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر فيبخل وبهذا النظر جعل بعض الشعراء

الرياش

السماحة

السماحة شجاعة والشجاعة سماحة فقال ايقنت ان من السماح شجاعة
تدمي وان من الشجاعة جوداً وجعل النبي صلى الله عليه وسلم دفع الشهوة جهاداً
فقال جهادك هواك وجعلت العفة جوداً فقيل الجود جودان جود بما في
يدك وجود بما في يد غيرك وهو اعظمها وهذه الفضايل اذا حصلت حصل
بها الانسانية والحرية وعنهما يتأصل الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص
البواعث على فعل الخير وتحري الفضايل البواعث على تحري
الخيرات الدنيوية ثلاث ادناها الترغيب والترهيب ممن يخشى ضره ويرجى
نفعه والثانية رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه والثالثة
تحري الخير وطلب الفضيلة فالاولى من مقتضى الشهوة وذلك من فعل العامة
والثانية من مقتضى الحياء وهو من فعل الصالحين وكبار ابناء الدنيا والثالثة
من مقتضى العقل وذلك من فعل الحكماء ولهذه المنازل قيل خير ما اعطي الانسان
عقل يردعه فان لم يكن فحياء يمنعه فان لم يكن فخوف يقمعه فان لم يكن فمال
يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه تريح منه العباد والبلاد وكذلك البواعث
على الخيرات الاخروية ثلث الاولى الرغبة في ثواب الله والمخافة من عقابه وذلك
منزلة العامة والثانية رجاء حمده ومخافة ذمه وذلك منزلة الصالحين والثالثة
طلب مرضاة الله في المتحريات وذلك منزلة النبيين والصديقين والشهداء
وهي اعزها وجوداً ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل
ان يعلم انه لا يريد من الدنيا والآخرة غيره قال الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقيل لرابعة لا تسئلين الجنة في
دعائك فقالت الجار ثم الدار وبهذا النظر قال بعضهم من عبد الله بعوض فهو
لئيم وقال بعض العلماء هذه المنازل الثلاثة منازل الظالم والمقتصد والسابق
واجدر ان يكون منازل هؤلاء الثلاثة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
سايل العلماء وخالل الحكماء وجالس الكبراء وقد قال بعض العلماء مسايلة العلماء

وفي بعض النسخ خالط الحكماء

ترغبک من الله فی ثوابه وتخوفک من عقابه ومخالة الحکماء تقربک من الحمد وتبعدک من الذم ومجالسة الکبراء تزهدک فیما عدا فضل الباری تعالی

باب الموانع من تحری الفضایل وذلک ضربان قصور وتقصیر فاما القصور فان لا یکون له آلة وقدرة علی اکتسابها او یکون له ذلک ولکن یعوقه عن استعماله عایق من مرض او شغل ضروری یعذره کحاجته الی السعی فیما یسد به جوعته ویستر به عورته وهما عدم الوسع المذکور فی قوله تعالی لا یکلف الله نفساً الا وسعها ودواء الاول الفزع الی الله عز وجل والتضرع الیه بان یجبر نقصه بتمام جوده وسعة رحمته واما التقصیر فاربعة اشیاء الاول ان یکون انسان لا یعرف الحق من الباطل والجمیل من القبیح فیبقی غفلاً ودواؤه سهل وهو التعلیم الصائب والثانی ان یکون قد عرف ذلک لکن لم یتعود فعل الصالح وزین له سوء عمله فرآه حسناً فتعاطاه وامره اصعب من الاول لکن یمکن ان یقهر علی العادة الجمیلة حتی یتعودها وان کان قد قیل ترک العادة شدید والثالث ان یعتقد فی الباطل انه الحق وفی القبیح انه الجمیل وتربی علی ذلک ومداواته صعب جداً فقد صار ممن طبع علی قلبه اذ قد تنقش بنقش خسیس ککاغذ کتب فیه ما یؤدی حذفه الی خرقه وفساده والرابع ان یکون مع جهله وتربیه علی فساد الاعتقاد تشرراً فی نفسه یری الخلاعة وقهر الناس فضیلة وذلک اصعب الوجوه والی نحوه قصد من قال من التعذیب تاذیب الذیب لیتهذب وغسل المسح لیبیض فالاول من هولاء الاربعة یقال له الجاهل والثانی یقال له الجاهل الفاسق والثالث یقال له الجاهل والفاسق والضال والرابع یقال له الجاهل والفاسق والضال والشریر

الارتقا فی درجات الفضایل والانحدار عنها الی اقصی الرذایل للانسان فی منازل الفضایل مرتقیً صعب ومنحدر سهل وعلی الارتقا فیها حث ربنا بقوله سارعوا الی مغفرة من ربکم وبقوله فاستبقوا الخیرات ومدح تعالی قوماً بقوله اولئک یسارعون فی الخیرات وهم لها سابقون وعن الانحدار منها نهی تعالی بقوله ولا ترتدوا علی ادبارکم فتنقلبوا خاسرین وبقوله

تعالی

تعالی ولا تکونوا کالتی نقضت غزلها من بعد قوة انکاثاً وذم قوماً شانهم ذلک بقوله ان الذین ارتدوا علی ادبارهم من بعد ما تبین لهم الهدی الشیطان سول لهم واملی لهم وبقوله ومنکم من یرد الی ارذل العمر لکیلا یعلم من بعد علم شیئاً فان الآیة تقتضی هذا المعنی وان کان ظاهرها یدل علی الجهل الذی یورثه الهرم والخیرات یترقی فیها الی اشرف المنازل باربع درجات وینحدر عنها فتبلغ الی ارذل المنازل ایضاً فاما درجات الارتقا فاولاها ان یرتدع الانسان عن المآثم ویهجرها ویندم علیها ویعزم علی ترک معاودتها وذلک اولی درجة التایب المطیع لله ورسوله وثانیتها ان یقوم بالعبادات الموظفة علیه ویسارع فیها بقدر وسعه وذلک درجة الصالحین وثالثتها ان یتحری بعلمه الحقیقی تعاطی الحسنات من غیر تلفت منه الی المحظورات لمجاهدة هواه وامانة شهواته وذلک منزلة الشهداء ورابعتها ان یکون مع هذه الاحوال المتقدمة یرضی بقضاء الله تعالی ولا یتجزع ویحب حکمه ولا یتسخط شیئاً من امره ویعلم ان الله تعالی اولی به من نفسه وذلک درجة الصدیقین وهذه المنازل الاربعة هی المرادة بقوله عز وجل ومن یطع الله والرسول فاولئک مع الذین انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن اولئک سبیلا واجدر ان یکون هذه المنازل الاربعة هی المامور بها فی قوله تعالی یا ایها الذین آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلکم تفلحون واعلم ان منزلة الرضی اشرف المنازل بعد النبوة فمن رضی عن الله عز وجل فقد رضی الله عنه لقوله تعالی رضی الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضاءین مقروناً بالآخر فمن بلغ هذه المنزلة فقد عرف خساسة الدنیا واطلع علی جنة المأوی وخطب مودة الملاء الاعلی بتحیتهم المعینة بقوله عز وجل والملائکة یدخلون علیهم من کل باب سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار واما درجات الانحدار والارتداد عنها فاولیها الکسل عن تحری الخیرات ویورثه ذلک الزیغ المعنی بقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانیتها الغباوة وهی ترک النظر والبغض

العمل فيورثه ذلك رينا على قلبه المعنى بقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وثالثتها الوقاحة وهى ان يرتكب الباطل ويراه فى صورة الحق ويذب عنه فيورثه ذلك قساوة القلب كما قال عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ورابعتها الانهماك فى الباطل وهوان يستحسنه ويحتنه فيورثه ذلك ختما على قلبه واقفالا عليه كما قال عز وجل ام على قلوب اقفالها وكما قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم والكسل سبب الغباوة والغباوة سبب الوقاحة والوقاحة سبب الانهماك فى الباطل كما ان الزيغ يوجب الرين والرين يوجب القساوة والقساوة توجب الختم والاقفال فحق الانسان ان يراعى نفسه فى الابتداء ولا يترخص فى ارتكاب الصغاير فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكباير ان الامور دقيقها مما يهيج به العظيم وقد قال عز وجل فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين فدل ان قعودهم اول مرة اداهم الى ان صاروا محكوما عليهم انه لا يتاتى منهم الخروج معه عليه السلام بوجه

بيان عادة الله تعالى فى تهذيب الذى تردد فى الرذائل

الناس متى تركوا تعاطى الاحسان والافضال وتحرى العدالة فيما بينهم مثلا بان يأتونها لا خلقا ولا تخلقا ولا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة فصاروا فى تعاطى الشر سواسية كاسنان الحمار عدم فيهم الفضيلة كما قال صلى الله عليه وسلم لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا فحينئذ ان بقى فى نفوسهم اثر القبول للخير ان شاء الله تعالى فيهم من يهذبهم باللسان والسيف المحق كبعثة النبى صلى الله عليه وسلم فى العرب لما بقى فيهم من اثر الخير تعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام والوفا بالذمام وان قل فيهم قبول الخير سلط عليهم سيفا جايرا كما قال تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينتصف من اوليائه باوليائه ومن اعدائه باعدائه وعاملهم بما عمل ببنى

اسرائيل

اسرائيل حيث سلط عليهم بخت نصر وان عدم منهم اثر القبول بعث عليهم عذابا يفنيهم اما طوفانا واما جائحة او نارا او ريحا فيها عذاب اليم او الجراد والقمل والضفادع والدم فيطهر منهم البلاد ويريح منهم العباد كما صنع الله بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وذلك كالارض اذا استولى عليها الشوك والدغل فلا بد من نسفها واحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء

باب اصناف الناس، الناس ضربان خاص وعام فالخاص من تخصص من المعارف بالحقائق دون التقليدات ومن الاعمال بما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحيوة الدنيا والعام اذا اعتبر بذلك فالذين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يؤدى الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بامور الدنيا فالخاص من تخصص من امور البلد بما يتخرم بافتقاده احدى السياسات المدنية والعام لا يتخرم بافتقاده شئ من ذلك وهم من وجه آخر ثلثة اضرب خاصة وعامة واوساط والاوساط وهم المسمون فى كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذى يسوس ولا يساس والعام الذى يساس ولا يسوس والوسط الذى يسوسه من فوقه ويسوس من دونه ومن وجه آخر ثلثة اضرب اصحاب الشهوات واهمهم الجدة واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة والسياسة وهمهم المدح واجتلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد يستعظم من هو فى جنسه ولهذا احتاج السلطان ان يتخصص بكل ذلك ويقتنيه ليكون معظما عند كل ضرب من الناس فيعظمه اصحاب الحكمة لحكمته واصحاب الكرامة والرياسة لرياسته واصحاب الشهوات لماله وكثرة قنيانه ومن وجه آخر ثلثة اضرب ملكى وشيطانى وانسى فالملكى يستعمل القوة العاقلة بقدر جهده وهم المؤمنون حقا والشيطانى الذى يستعمل القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسى الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم المذكورون فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح

دريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهم المؤمن والسابق والفاسق وهم المذكورون في قوله عز وجل وكنتم ازواجاً ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون ومن وجه آخر ضربان مصطفى ومستنزل فالمصطفى ثلثة اضرب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق وهم المذكورون في قوله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهم ايضاً اعني المصطفين ثلثة اضرب انبياء للمشاهدة والهداية لقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وحكماء وهم الاولياء للمراقبة والرعاية لقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وعوام للمجاهدة والكفاية وهم المذكورون في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهم ايضاً اعني الناس ضربان عبد بالطبع وان كان ملكاً وملك بالطبع وان كان عبداً مسترقاً والملك من حصل الفضائل النفسية التي بها يصير الانسان بحيث يصح ان يوصف بانه رباني والهي وملكي ويصح ان يكون خليفة الله في ارضه والعبد من قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قال بعض الحكماء ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الانسان مشاركاً لهما في الجنسية فمن الناس غشوم كالاسد وعايث كالذيب وخب كالثعلب وشره كالخنزير وجامع كالنمل ووقح كالذباب وبليد كالحمار والوف كطير الوفا وصنع كالسرفة والف كالاسد وغيور كالديك وهاد كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر كالاترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم قبيح المنظر حسن

نغس

عايث

خب

الوقح من الوقاحة الانف

السرفة

المخبر

المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كالحنظل والدفلى والمؤمن الخير هو في الحيوانات كالنحل تأخذ اطايب الاشجار فلا تقطف ثمراً ولا تكسر شجراً ولا تؤذي بشراً ثم تعطي الناس ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو كالاترج في الاشجار يطيب حملاً ونوراً وعوداً وورقاً والمنافق الشرير في الحيوانات كالقمل والارضة وفي الاشجار مثل الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر ويفسد الثمار ويبيس الاشجار وكالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها وفيه عدة ابواب

باب فضيلة العقل العقل اول جوهر اوجده الله عز وجل بدلالة ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً احب الي بك آخذ وبك اعطي ولو كان على ما توهمه قوم انه عرض لما صح ان يكون اول مخلوق لانه محال وجود شيء من الاعراض قبل وجود جوهر يحمله وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال عليه السلام لا يعجبنكم اسلام امرء حتى تعرفوا عقدة عقله ومن هذا الوجه الذي اشار النبي صلى الله عليه وسلم قالت الحكماء من لم يكن عقله اغلب خلال الخير كان حتفه في اغلب خصال الخير عليه وبالعقل صار الانسان خليفة الله تعالى ولو توهم مرتفعاً لارتفعت الفضايل من العالم فضلاً عن الانسان وبحسب ما خزنه الله تعالى منه في الانسان اهتدى من وفقه الله الى تزكية نفسه المذكورة في قوله عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها وحصل به حرث الآخرة المذكورة في قوله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وحرث الآخرة على التفصيل سبعة اشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا حاجة وامن بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل والى العقل اشار بقوله تعالى الله نور السموات والارض الآية فمعنى نور السموات والارض منورهما وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل والعقل

یقال علی ضربین احدهما بغیر اضافة وهو المذکور بانه اول مخلوق والثانی
بالاضافة الی آحاد الناس فیقال عقل فلان وهو من الاول بمنزلة ضوء الشمس
انواع العقل   العقل عقلان عقل غریزی وهو القوة المتهیئة لقبول
العلم ووجوده فی الطفل کوجود النخل فی النواة والسنبلة فی الحبة ومستفاد وهو
الذی یتقوی به تلک القوة   وهذا المستفاد ضربان ضرب یحصل للانسان حالاً
فحالاً بلا اختیار منه فلا یعرف کیف حصل ومن این حصل   وضرب یحصل بالاختیار
منه فیعرف کیف حصل ومن این حصل وحصوله بقدر اجتهاده فی تحصیله ولکون
العقل غریزیاً ومستفاداً قال امیر المؤمنین رضی الله عنه   العقل عقلان مطبوع ومسموع
ولا یصلح احدهما الا بالآخر والی الاول اشار بقوله علیه السلام   اول ما خلق الله
العقل والی الثانی اشار بقوله لعلی رضی الله عنه   اذا تقرب الی خالقهم بابواب
البر فتقرب انت الیه بعقلک تسبقهم بالدرجات والزلفی عند الناس فی الدنیا وعند
الله فی الآخرة   وقال صلی الله تعالی علیه وسلم ما کسب احد شیئاً افضل من عقل یهدیه
الی هدی ویرده عن ردی   ولاختلاف النظرین قال قوم العقل مبدع وقال قوم
هو مکتسب وکلا القولین صحیح من وجه ووجه   والعقل الغریزی للنفس بمنزلة
البصر للجسد والمستفاد بمنزلة النور فکما ان البدن متی لم یکن له بصر فهو اعمی کذلک
النفس متی لم یکن له بصیرة ای عقل غریزی فهی عمیة   وکما ان البصر متی لم یکن له نور
من الجو لم یجد بصره کذلک العقل اذا لم یکن له نور من العلم مستفاد لم تجد بصیرته
ولذلک قال عز وجل   ومن لم یجعل الله له نوراً فما له من نور   وقد جعل للعقل نظر
وادراک ورؤیة وجعل له اضداد من العمی وغیره   وقال عز وجل وتریهم ینظرون
الیک وهم لا یبصرون   وقال عز وجل ما کذب الفؤاد ما رای   وقال   وکذلک نری
ابراهیم ملکوت السموات والارض   ولما کان فقدان البصیرة اشنع من فقدان
البصر لانه بارتفاع البصیرة ارتفاع النفع بالبصر قال عز وجل فانها لا تعمی الابصار
ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور   فذمهم بفقدان البصیرة تنبیهاً علی ان فقدانها

اختیاری

اختیاری اذ هو بترکهم استفادة العلم واکثر فقدان البصر ضروری قال تعالی
الذین کانت اعینهم فی غطاء عن ذکری وکانوا لا یستطیعون سمعاً فلولا ان العین
ارید بها البصیرة لما قال عن ذکری لان الذکر لا یدرک بحاسة العین   وقال
ابن عباس رضی الله عنه لمن عیره بفقدان البصر انا نصاب فی ابصارنا وانتم
تصابون فی بصائرکم وکیف لا یکون فقدان البصیرة اعظم ضرراً من فقدان البصر
وقد تقدم ان البدن بمنزلة فرس والنفس راکبه وضرر عمی الراکب بنفسه اشد
علیه من ضرر عمی فرسه   المکتسب من العقل الدنیوی والاخروی
العقل المکتسب ضربان احدهما التجارب الدنیویة والمعارف المکتسبة والثانی
العلوم الاخرویة والمعارف الالهیة وطریقاهما متنافیان   وقد ضرب امیر
المؤمنین رضی الله عنه لذلک ثلثة امثال قال ان مثل الدنیا والآخرة
ککفتی المیزان لا ترجح احدهما الا بنقصان اخری وکالمشرق والمغرب کل من قرب
من احدهما بعد من الآخر وکالضرتین اذا ارضیت احدیهما اسخطت الاخری
ولذلک یری قوم اکیاساً فی تدبیر الدنیا وسیاستها بلهاً فی امور الآخرة   حتی قال
صلی الله تعالی علیه وسلم   الکیس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت   وقال
لمن نسب بعض الصالحین الی البله اکثر اهل الجنة البله   ولاختلاف طریقیهما
قال الحسن رضی الله عنه   ادرکنا اقواماً لو ادرکتموهم لقلتم مجانین ولو راوکم لقالوا
شیاطین   ولقلة الاعتداد بالمعارف الدنیویة قال علیه السلام لرجل وصف
نصرانیاً بالعقل انما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته   وقال عز وجل حکایة
عن اهل النار لو کنا نسمع او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر   ومن تصور اختلاف
الطریقین اعنی طریق الدنیا وطریق الآخرة لم تعرض له الشبهة التی اعترضت
لقوم هم قالوا لو ان ها هنا حقاً لما جهله الذین لم یلحق شاؤهم فی تدبیر الدنیا
ودقایق الصناعات ووضعوا الحکم والسیاسات وذاک کما انه من المحال
ان یظفر سالک طریق الشرق بما لا یوجد الا فی الغرب او یظفر سالک طریق

الغرب بما لا يوجد الا في الشرق كذلك من المحال ان يظفر سالك معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة وقد نبّه الله تعالى على ذلك بقوله انّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وبقوله ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا يكاد ان يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة على التحقيق والتصديق الا من رشّحهم الله تعالى لتهذيب الناس في امر معاشهم ومعادهم جميعاً كالانبياء وبعض الحكماء ولمّا كان العقل هو الذي يردع الانسان عن الذنب والكتابه على التمام والكمال في الورى عسير لم ينفك احد من ذنب يرتكبه ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم ما من بني الّا اذنب او همّ

مامنا سحه

بيان منازل العقول واختلاف اساميها

العقل عامّ لما يكون بالقوّة والفعل ولمّا كان غريزياً ومكتسباً وهو في اللغة تعقيد البعير كيلا يندّ وسمّي هذا الجوهر به تشبيهاً على عادتهم في استعارة اسماء المحسوسات للمعقولات وخصّ بناء المصدرية لمّا كان يستعمل مرّة في الحدث ومرّة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرّة للمفعول نحو خلق وامر لكي يتصوّر منه كونه سبباً لتقييد الانسان به وكونه مقيّداً له عن تعاطي ما لا يجمل به وكونه مقيّداً به من بين الحيوان والنُّهى في الاصل جمع نُهية او اسم مفرد نحو جُعَلْ وصُرَدْ او وصف نحو دليل ختع وسايق حطم وجعل اسماً للعقل الذي انتهى من المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات ولهذا اُحيل اربابه على تدبّر معاني المحسوسات في نحو قوله عزّ وجلّ أفلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم انّ في ذلك لآيات لاولي النهى وقال عزّ وجلّ كلوا وارعوا انعامكم انّ في ذلك لآيات لاُولي النهى والحِجْر اصله من الحَجْر اي المنع وهو اسم لما يحجزه الانسان من خطر الشرع والدخول في احكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قَسَم لذي حِجْر وسمّي الحجا من حجاه اي قطعه ومنه الاحجية فكانّه سمّي به لكونه قاطعاً للانسان عمّا يقبح واما اللبّ فهو الذي قد خلص من عوارض الشبهة

وترشّح

مفرغ نسخه

وترشّح لاستفادة الحقايق من دون المفزع الى الحواس ولذلك علّق الله تعالى في كلّ موضع ذكره بحقايق المعقولات دون الامور المحسوسات نحو قوله تعالى انّ في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب فوصفهم بهداية الله ايّاهم وقد سمّى الله تعالى العلم نوراً والجهل ظلمة فقال عزّ وجلّ الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وسمّاه روحاً في قوله وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا وسمّاه حيوة والجهل موتاً فقال عزّ وجلّ أَوَمن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات الآية وقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظلّ ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمّاه ماءً بقوله انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها الآية والايمان زبدة العقل والعمل ولذلك قال تعالى في مواضع انّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فعلّق به ما علّق بهما وسمّي العقل القلب وذلك انّه لمّا كان القلب مبدأ تأثير الروحانيات والفضايل سمّي به ولذلك عظّم الله تعالى امره لاختصاصه بما قد اوجد لاجله وقال عزّ وجلّ يوم لا ينفع مال ولا بنون الّا من اتى الله بقلب سليم وقال عزّ وجلّ انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فنبّه انّ القلب في الحقيقة انّما يكون قلباً اذا كان متخصّصاً بما قد اُوجد لاجله وما قد اوجد لاجله هو المعارف الحقيقية وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم انّ في البدن مضغة اذا استقامت استقام البدن واذا اعوجّت اعوجّ البدن ولمّا كان اشرف المعارف هو ما يتخصّص به القلب قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك

جلالة العقل وشرف العلم

العقل حيثما وجد كان محتشماً حتّى انّ الحيوان اذا رأى انساناً احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار ولذلك ينقاد الابل للراعي وكذلك جماعة الرعاة اذا رأوا منهم من كان اوفر عقلاً واغزر فضلاً فيما هم بصدده انقادوا له طوعاً والعلماء اذا لم يعاندوا انقادوا ضرورة

لاكثرهم علماً وافضلهم نفساً واوفرهم عقلاً ولا ينكر فضله الا كل متدنس بالمعاب متطلب لرياسته حافظ على عرض دنيوي قد جعل عقله خادماً لشهوته فلمحفظة على رياسته ينكر فضل الفاضل ولفضيلة العقل الوافر كان كثير ممن كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم قصدوه ليقتلوه فما كان الا ان وقع طرفهم عليه فتراى لهم نور الله تعالى مرهوباً عنه فالقى في قلوبهم منه روعة فهابوه فمن مذعن له طايعاً وحيث لا ينكره بعد الا جاحدا ولهذا المعنى قال الشاعر لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبر وقد تقدم ان الانسان لم يتميز عن الحيوان والبهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل حيوة انفكت منه فهو غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودات فان الحيوة الحيوانية لا تحصل ما لم تقارنها الاحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتالم مما يخالفه فيهرب منه وذلك اخص المعارف بمقتضى الحيوة الانسانية انها اذا تعرت من المعارف المختصة بها ان لا يعتد بها ولهذا سمى الله تعالى الجاهل ميتاً في غير موضع من كتابه فقال تعالى اَوَمن كان ميتاً فاحييناه ولاجل ان الحيوة تقارن العلم سمى الله تعالى العلم روحاً في قوله وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا وقد ذكرنا ان حاجة الانسان الى العلم اكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع لا محالة ونفعه دائم في الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضره فاذا نفع فنفعه منقطع فمن استفاد علماً ثم ضيعه او تمكن من استفادته فاهمله فقد خسر خسراناً مبيناً كما قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية

الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والحكمة والدراية

العلم ادراك الشيء بحقيقته وهو ضربان احدهما حصول صور المعلومات في النفس والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود او نفي شيء عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج او ليس هو طائراً فالاول هو الذي يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد وفي النحو المعرفة ويتعدى الى مفعول واحد والثاني يسمى العلم دون العقل ويتعدى الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار

فما كان نسخه

وحيث نسخه

على

على واحد منهما من حيث ان القصد اذا قيل علمت زيداً منطلقاً اثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد واعلم ان العقل والعلم بقياس احدهما الى الآخر على ثلثة اوجه احدها عقل ليس بعلم وهو العقل الغريزي والثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي الى مفعولين والثالث عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال له المعرفة ولم يصح ان يتعدى العقل الى مفعولين فيقال عقلت زيداً منطلقاً كما يقال علمت لكون العقل موضوعاً للعلم البسيط دون المركب وسمي عقلاً من حيث انه مانع لصاحبه ان يقع افعاله على غير نظام وسمي علماً من حيث انه علامة على الشيء وهذا اذا اعتبر حقيقته مما يبين به شرف اللغة العربية واما الفرق بين العلم البسيط اعني المتعدي الى مفعول واحد وبين المعرفة فهو ان المعرفة قد يقال فيما يدرك آثاره وان لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال الا فيما ادرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كان معرفته تعالى ليست الا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته وايضاً فالمعرفة يقال فيما لا يعرف الا كونه موجوداً فقط والعلم اصله ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته وعلته ولهذا يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف بكذا لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر وايضاً فالمعرفة يقال فيما يتوصل اليه بتفكر وتدبر والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره ويضاد العرفان الانكار والعلم الجهل واما الدراية فالمعرفة المدركة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمة واجالة الخاطر واستعمال الروية واصله من دريت الصيد والدرية لما يتعلم عليه الطعن وللناقة التي يستتر بها الصايد ليانس الصيد بها فيرمي من وراها والمدرى يقال لما يصلح به الشعر ولقرن الشاه ولا يصح ان يوصف الباري بذلك لان معنى الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع فيتبع وقول الشاعر لاهم لا ادري وانت الداري واما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالاً منه في العلم وان كان العمل لا يكون محكماً من دون

العلم به ومنها قيل احكم العمل احكاما وحكم بكذا حكما والحكمة من الله تعالى اظهار الفضايل المعقولة والمحسوسة ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقد حدت الحكمة بالفاظ مختلفة فقيل هي معرفة الاشياء الموجودة بحقايقها ويعني كليات الاشياء فاما جزئياتها فلا سبيل للبشر الى الاحاطة بها وهذا الحد يجب اعتبارها بالعلم وقيل اماتة الشهوات على ما يجب وهذا الحد يجب اعتبارها بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان وقيل هي الاقتداء بالخالق في السياسة بقدر طاقة البشر وذلك بان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه وبنحو هذا العقل يقرب العبد الى خالقه سبحانه وتعالى في الدنيا ونسبة العلوم الى الحكمة من وجه كنسبة الاعضاء الى البدن في كونها ابعاضا لها ومن وجه كنسبة المروسين الى الرئيس في كونها مستولية عليها ومن وجه كنسبة الاولاد الى الام لكونها مولدة لها وهي في تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية اي المدركة بالعقل وقد افرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب اسما لما لا يدرك الا من جهة النبوات والحكمة لما لا يدرك الا من جهة العقل وجعلا منزلين وان كان انزالهما من الله قد يكونان مختلفين وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما الى الآخر فقد قيل لولا الكتاب لاصبح العقل حايرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة البيد والحكمة الميزان ولا يعرف المقادير الا بهما ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله عز وجل الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة الا احد رجلين اما مهذب في فهمه موفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر واما الهي فيصطفيه الله فيفتح عليه ابواب الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مقاليد جوده ويبلغه ذروة السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

توابع العقل

العقل المشرق في الانسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة وقد تقدم ذكرهن ويحصل عنه ايضا الذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الوهم والتخيل والبديهة والكيس والخبر واصابة الظن والفراسة

والزكانة

والزكانة والكهانة والعرافة والالهام ودقة النظر والراي والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة واما الذكاء فالمضاء في الامر وسرعة القطع بالحق واصله من ذكت النار وذكت الريح وشاة مذكاة مدرك ذبحها بحدة السكين وذكي الرجل تم فيه قوة الذكاء لكن اكثر ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه ثم صار يعبر به عن تمام السن ومنه جري المذكيات غلاب واما الذهن فقريب من الذكاء لكن يقال في ادراك ما وقع من التنازع واما الفطنة فسرعة ادراك ما يقصد انكاله ولهذا يكثر في استنباط الاحاجي والرموز واما الفهم فمقدمة العقل فمن لا يعرف معنى الشي فهما لم يتحققه عقلا وقد سمي الفهم عقلا وان كان مرتبته دون مرتبة العقل فقوة الفهم ان يدرك الاشياء الجزئية والعقل يدرك كلياتها ومعنى ذلك ان العقل يعرف ان العدالة حسنة والظلم قبيح والفهم يميز ويبين كل واحد من الفعل هل هو عدل او ظلم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل كالحاذق في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فانه يوصف بالفهم واما الخاطر فحركة الفهم نحو الشي يقال خطر الشي ببالي ولم يقل خطر بالي بالشي فيجوز ان يكون ذلك من المقلوب كقولهم عيش ناصب وقد قيل في قولهم عقلت الشي واحسست انهما ايضا من المقلوب والشي هو المؤثر في الحاسة والعقل لا هما فيه ٣ واما الخيال فنحو الوهم لكن يقال اعتبارا بما يكون من جهة الحاسة وفيما له صورة ما ومنه سمي الطيف الوارد من صورة المحبوب خيالا والخيال قد يقال لتلك الصورة في المنام وفي اليقظة والطيف لا يقال الا فيما كان في حال النوم ولهذا ينسب الطيف الى الخيال لما كان ذلك من جوالبه شعر ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال واما البديهة فمعرفة ناقبة تجيء بلا فكر ولا قصد فالبديهة في المعرفة كالبديع في الفعل واما الروية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير وهو من روا واما الكيس فالقدرة على جودة استنباط ما هو اصلح في بلوغ الخير

فالبديهة صح

٣ واما الوهم فانقياد النفس لقبول اثر ما يرد عليها من قولهم حمل وهم وطريق وهم والفرق بينه وبين الخاطر ان الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس والوهم لا يقال الا فيما تقبله
صح

القشه

تاجره صحه

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من
انيت انه لاخير يصل اليه الانسان افضل مما بعد الموت   وقول العرب الكيس
من قِتْنه لتصورها بصورة الكيس لانها ذات كيس في الحقيقة وكاسى في
مشيه اى اظهر الكيس في مشيه برفع احدى رجليه وتسميتهم الغادر كيسان اما
على طريق التهكم او تنبيهاً ان الغادر بعد ذلك كيساً او كان كيساً كتسميتهم كل
حداد ها لكيا   واما الخبر فمعرفة يتوصل اليها من قولهم خبرته اى اصبت خبره
وقيل هو من قولهم ناقة خبيرة غزيرة فكان الخبر هو غزارة المعرفة ويجوز ان يكون
قولهم ناقة خبيرة اى مخبرة عن غزارتها كقولهم ناقة زاجره   واما الظن فاصابة
المطلوب بضرب من الامارة ولما كانت الامارات مترددة بين يقين
وشك فتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك صار تفسير اهل
اللغة بهما فمتى كان من طرف اليقين اقرب استعمل معه انّ المثقلة والمخففة منها
نحو قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وظنوا انه واقع بهم ومتى كان
من طرف الشك اقرب استعمل معه اَن المخففة التى للمعدومين من الفعل نحو ظننت
ان تخرج وان خرجت   وانما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله الذين يظنون
لامرين احدهما تنبيه ان علم اكثر الناس في الدنيا بالاضافة الى علمه به في الآخرة كالظن
في جنب العلم   والثاني ان العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل الا للنبيين
والصديقين المعنيين بقوله تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون   والظن متى كان عن
امارة قوية فانه يمدح به ومتى كان عن تخمين لم يعتمد ذم به كما قال عز وجل ان
بعض الظن اثم   واما الفراسة فالاستدلال بهيئات الانسان واشكاله
والوانه واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله   وربما قيل هي صناعة صيادة
لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان في ذلك
لآيات للمتوسمين   وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم وقوله سبحانه وتعالى ولتعرفنهم

فى

في لحن القول ولفظها من قولهم فرس السَبُع الشاة فكان الفراسة اختلاس
المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف سببه
وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهو الذي يسمى صاحبه المروع
والمحدث   وقال عليه السلام ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر رضي الله
عنه   وقيل في قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من
وراء حجاب الآية   ان ما كان وحياً هو بالقائه في الروع وذلك يكون للانبياء
كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك   وقد يكون بالهام في حال اليقظة
وقد يكون في حال المنام ولاجل ذلك قال عليه السلام الرؤيا الصادقة جزء
من ستة واربعين جزءاً من النبوة   والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة
متعلمة وهي معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين الامزجة والاخلاق والافعال
الطبيعية   ومن عرف ذلك فكان ذا فهم ثاقب قوي الفراسة وقد عمل في
ذلك كتب من تتبع الصحيح منها اطلع منه على صدق ما ضمنوه   والفراسة ضرب
من الظن   وسئل بعض محصلة الصوفية عن الفرق بينهما فقال الظن بتقلب
القلب والفراسة بنور الرب تعالى   وقال من قوي فيه نور الروح المذكور في
قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي كان ممن وصفه بقوله افمن كان على بينة
من ربه ويتلوه شاهد منه وكان ذلك النور شاهداً منه اصاب فيما حكم به
ومن الفراسة قال صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين ان امرهما لبين لولا حكم الله
ومن الفراسة علم الرؤيا   وقد عظم الله تعالى امرها في جميع كتبه المنزلة وقال
تعالى لنبيه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس   وقال عز وجل
اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو اريكهم كثيراً لفشلتم   وقال في قصة ابراهيم
عليه السلام يا بنيّ اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى   وقال تعالى
حكاية عن يوسف يا ابت اني رايت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رايتهم لي

الفشل

ساجدين والرؤيا هي فعل للنفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لاتخاذ
هذه القوة في الانسان فائدة والله يتعالى عن الباطل وهي ضربان ضرب
وهو الاكثر اضغاث احلام واحاديث للنفس من الخواطر الردية لكون النفس
في تلك الحال كالماء المتموج الذي لا يقبل صورة وضرب وهو الاقل صحيح وذلك
قسمان قسم لا يحتاج الى تاويل وقسم يحتاج الى تاويل ولهذا يحتاج المعبر الى مهارة
للفرق بين الاضغاث وغيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق
بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا وفيهم من يصح رؤياه ثم
من يصح له ذلك منهم من يرشح ان يلقى اليه في المنام الاشياء العظيمة الخطر
ومنهم من لا يرشح لذلك ولهذا قال اليونانيون يجب للمعبر ان يشتغل
الطغام بعبارة رؤيا الملوك والحكماء دون الطفام وذلك لان لهم حظا من النبوة وقد
قال النبي عليه السلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا
العلم يحتاج الى مناسبة بينه وبين متحريه فرب حكيم لا يرزق حذقا فيه ورب نزر الحظ
من الحكمة وسائر العلوم توجد له قوة عجيبة فاما الزكانة فضرب من الفراسة وهي
معرفة فعل باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم تقال زكنت وازكنت والقيافة
ضرب من الزكانة لكنه ادق وهي ضربان احدهما تتبع اثر الاقدام والاستدلال به
على السالكين والثاني الاستدلال بهيئة الانسان وشكله على نسبه وخص
بالقيافة من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقيل ان ذلك لمناسبة طبيعية لا تتعلم
وهي محكوم بها في الشرع قال بعض الحكماء خص الله تعالى العرب بذلك ليكون سببا
لا تزداد نساؤهم عما يورث شرف نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم
صيانة للنسبة النبوية وليكون ذلك شرفا للنبي عليه السلام ولاجل حفظه
تعالى نسبهم بذلك قال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا اي ليعرف بعضكم
بعضا بمعرفة اصله واما الكهانة والعرافة مختصة بالامور الماضية وكان ذلك
في العرب كثيرا واخر من وجد وروي عنه الاخبار العجيبة سطيح وسواد بن قارب

وقيل

وقيل كان وجود ذلك في العرب احد اسباب معجزات النبي عليه السلام لما كان
يخبر به ويحث على اتباعه ونزع ذلك عنهم بعد النبوة حتى روي لا كهانة بعد النبوة
وقال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما اتى به فقد كفر بما انزل على
محمد تنبيها على انه قد رفع ومما يجري مجراهما التطير وهو تشأم الانسان بشيء
يقع تحت المناظر والمسامع مما تنفر منه النفس مما ليس بطبيعي واما نفارها مما هو
طبيعي في الانسان كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يعد من هذا واشتقاقه
في زجر صح من الطير واصله من زجر الطير وما سواه ملحق به وعلى ذلك قول الشاعر وما انا
ممن يزجر الطير حوله اصاح غراب او ترنم طائر ثم كثر في غيره حتى قال الله تعالى
حكاية قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله اي السبب الذي يسعدكم
ويشقيكم عند الله وقال عز وجل وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا
انما طائرهم عند الله وسمي عمل الانسان الذي يعاقب به طائرا فقال عز
وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه والنظر اجالة الخاطر نحو المرئي
لادراك البصيرة اياه فللقلب عين كما ان للبدن عينا فمن صحت عين قلبه
واعانه نور الله تعالى اطلع على حقائق الاشياء وعلى العالم العلوي وهو في الدنيا يرى
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكون الاطلاع عليه
قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والراي اجالة الخاطر
في روية ما يريده وقد يقال للقضية التي تنبعث عن الراي راي والراي للفكرة
كالآلة للصانع التي لا يستغني عنها ولا يكون الا في الامور الممكنة دون الواجبة
والممتنعة ويكون من جملة الممكنات فيما يكون الينا فالطبيب لا يجيل رايه في
نفس البرء وانما يجيله في كيفية الوصول اليه ويحتاج الراي الى اربعة اشياء
اثنان من وجه الزمان في التقديم والتاخير احدهما ان يعيد النظر فيما يريد
ولا يعجل امضاه حتى يغب فقد قيل اياك والراي الفطير وقيل دع الراي
يغب واكثر من يستعجل ذلك ذوو النفوس الشهمة والامزجة الحادة والثاني

ان لايدافع به بعد احكامه فقد قيل روى لحزم فاذا استوضحت فاعزم
وقيل احزم الناس من اذا وضح له الامر صدع فيه وقال تعالى فاذا عزمت
فتوكل على الله واكثر من يدافع بذلك ذوو النفوس المهينة والامزجة البارده واثنان
من جهة الناس احدهما ترك الاستبداد بالرأى من فعل المعجب بنفسه وقد
قيل من الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثانى
ان يتخير من يجوز مشاورته شعر فما كل ذى لب بموتيك نصحه ولا كل موت نصحه
بلبيب ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب ومن
دخل فى امر بعد الاحتراز من هذه الاربعة فقد احكم تدبيره فان لم تنجح عمله لم تلحقه
مذمة واما التدبير فنحو الرأى لكن يقال اذا استعمل فى النظر فى عواقب الامور
واشتقاقه يقتضى ذلك لانه تأمل دبر الامور وعليه حث الشاعر بقوله شعر
ومن ترك العواقب مهملات فايسر سعيه ابداً تبار واما الفكرة فقوة مطرقة
للعلم الى المعلوم وهو تخيل عقلى موجود فى الانسان والتفكر جولان تلك القوة
بين الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وربما ضل الفكر واخطأ
ضلال الرائد وخطأه والتفكر لا يكون الا فيما له ماهية مما يصح ان يجعل له صورة
فى القلب مفهوماً ولاجل ذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا فى آلاء
ولا تفكروا فى الله وقال عز وجل اولم يتفكروا فى ملكوت السموات والارض
وقال تعالى يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة وسئل
بعض الحكما عن الفكرة والعبرة فقال الفكرة ان تجعل الغايب حاضراً والعبرة ان
تجعل الحاضر غايباً واما الذكر فوجود الشى فى القلب او فى اللسان وذاك ان الشى
له اربع وجودات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده فى لفظه
ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى قلب الانسان ووجوده
فى قلبه سبب لوجوده فى لسانه ولوجوده فى كتابته ويقال للوجودين اى
الوجود فى القلب والوجود فى اللسان الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان ما لم يكن عن

ذكر

ذكر القلب بل لا يكون ذلك والذكر بالقلب ضربان احدهما استعادة ما فقد
استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان او غفلة وهذا هو فى الحقيقة التذكر
والثانى ثبات وجود الشى فى القلب من غير نسيان او غفلة وذكر الله تعالى
على النحو الاول غير مرتضى عند الاولياء فانما يحمد على النحو الثانى واعلم ان ذكر الله
تعالى تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف
والحزن وتارة لنعم فيتولد منه الشكر ولذلك قيل ذكر النعم شكرها وتارة لافعاله
الباهرة فيتولد منه العبر فحق المؤمن ان لا ينفك ابداً من ذكره على احد هذه
الاوجه وعليها دل قوله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب
النار اى يذكرون الله فى كل حال لان الانسان لا ينفك من هذه الاوجه الثلثة
ان قيل ما حقيقة ذكر الله تعالى عند ابتداء الاعمال حتى قال صلى الله تعالى عليه وسلم
كل امر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو ابتر قيل نبه بذلك ان الامور كلها يجب ان تقصد
بها وجه الله تعالى وان كل امر لا تقصد فيه ذلك فهو ناقص وشرع ذكره باللسان
ليكون سبباً لتذكره فيتحرى بفعله وجه الله ولا يعمل ما ينافى رضاه وعلى ذلك قوله
تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدينى ربى اى اذا عرض لك نسيان
لما يلزمك فاذكر ربك تتذكر به انه مطلع عليك ولهذا قال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اعمل كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما الحفظ فالمحافظة
على مراعاة الشى وقلة الغفلة عنه ومنه محافظة الحرم حتى قيل للغضب المقتضى
لذلك حفيظة ويقال لثبات صورة الشى فى القلب حفظ وفلان جيد الحفظ
اى القوة الحافظة والحفظ للنفس من وجه يجرى مجرى الخزانة للملك يضع فيها
الذخاير الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكتاب الذى يكتب فيه الشى
ليرجع اليه فيتذكره به والناس متفاوتون فيه بحسب افرحتهم فمنهم من

فوتي الله تعالى ذلك منه كما جعله تعالى لنبيه عليه السلام فلذلك كان كونه امياً
شرفاً له اذ كان له من الحفظ ما يغنيه عن الاستعانة بالكتابة ولهذا قال الله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فضمن ان يحفظ عليه ما جعل له من القوة
الالهية وروي انه لما نزل قوله عز وجل وتعيها اذن واعية قال صلى الله تعالى عليه
وسلم لعلي رضي الله عنه سالت الله ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك
شيئاً الا وعاه ومن الناس من يسرع اليه النسيان فما يسمعه يكون كالخط يكتب
في بسيط الماء واما البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ وتحري الصدق فيها ولا يكون
الكلام تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني فانه متى قبح اللفظ او قبح التاليف او كان اكثر
مما يجب او اقل مما يجب او لم يطابق اللفظ المعنى اما حقيقة او استعارة رائقة او كان
المعنى كذباً او محالاً لاخرج الكلام بقدر ما اختل به عن باب البلاغة وقد وصفت
البلاغة باوصاف مختلفة بحسب انظار مختلفة قول بعضهم البلاغة هي الايجاز
من غير عجز والاطناب في غير خطل وقيل ما فهمته العامة ورضيته الخاصة وقيل
ما اختياره فاد الى غير ذلك من الاوصاف واما الفصاحة فاشتقاقها من فصح
اللبن اي خلص من اللبا وهي الاصابة في اللفظ وفي الايتلاف دون اعتبار
الصدق وصواب المعنى وكل كلام جزل اللفظ حسن التركيب موصوف بالفصاحة
صدقاً كان او كذباً فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى

باب ثمرة العقل في معرفة الله الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان من
ذلك اشرف ثمرة العقل معرفة الله وحسن طاعته والكف عن معصيته وعلى ذلك
دل قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العقل ثلثة اجزاء جزء معرفة الله تعالى
وجزء طاعة الله وجزء الصبر عن معصية الله وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان
عريان ولباسه وزينته الحياء وماله العفة وثمرته العلم فمعرفة الله العامية مركوزة
في النفس وهي معرفة كل احد انه مفعول وان له فاعلاً فعله ونقله في الاحوال المختلفة
واليه اشار بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقوله عز وجل صبغة الله

ومن

ومن احسن من الله صبغة وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية فهذا القدر من المعرفة
في نفس كل احد ويتنبه الغافل عنه اذا نبه عليه فيعرفه كما يعرف انما هو مساو لغيره
فغير ذلك مساوله ومن هذا الوجه قال عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقال في مخاطبة المؤمنين والكافرين واذا مسكم الضر
فاليه تجارون وقال بعده ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
واما معرفة الله تعالى المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت له من الصفات وما
يجب ان ينفى عنه وهذه المعرفة التي هي دعت اليها الانبياء عليهم السلام وحثوا
عليها ولهذا قال كلهم لا اله الا الله ولم يدع احد الى معرفة الله بل دعى الى توحيده
وهذه المعرفة اعني المكتسبة على ثلثة اضرب لا يكاد يدركه الا نبي وصديق وشهيد
ومن دناهم وذلك معرفة بالنور الالهي من حيث لا يعتري فيه شك بوجه كما قال تعالى
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا الاية وضرب يدرك
بغلبة الظن اعني الظن الذي تفسره اهل اللغة باليقين كما قال عز وجل الذين
يظنون ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وضرب يدرك بخيالات ومثل وتقليدات
وآباء عني بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول يجري مجرى ادراك
الشيء من قريب ولهذا قال عز وجل في وصفهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد والثاني يجري مجرى ادراك الشيء من بعيد فلا ينفك من
شبهات لكن يزول بادنى تامل كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والثالث يجري مجرى من يرى الشيء من
وراء ستر من بعيد فلا ينفك من شبهات كما اخبر الله تعالى عمن هذه حاله بقوله
ان نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين ولاجل صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى
يتخلص الانسان من آفات الشرك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين وقال عز

وجل قل الله اعبد مخلصاً له ديني وقال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصاً
دخل الجنة وغاية معرفة الانسان ربه ان يعرف اجناس الموجودات جواهرها
واعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانها محدثة وان محدثها
ليس اياها ولا مثلاً لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه تعالى ولا يصح بقاؤها
مع ارتفاعه تعالى وبهذا النظر قال ابوبكر رضي الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا
الى معرفته الا بالعجز عن معرفته بل لهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا
تفكروا في الله ولما كان معرفة العالم كله يصعب على الانسان الواحد لقصور افهام بعضهم عنها
واشتغال بعضهم بالضرورات التي يعوقهم عنها جعل الله تعالى لكل انسان من نفسه وبدنه عالما
صغيراً اوجد فيه مثال ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر عن كتاب
بسيط يكون مع كل احد نسخته يتأملها في الحضر والسفر وبالليل والنهار فان نشط وتفرغ
للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه
ويتسع فهمه والا فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
ولشرف متأملي ذلك قال تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وقال تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين
يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار فنبه بمدحهم حيث قالوا ربنا ما خلقت هذا
باطلاً انهم عرفوا الغرض المقصود بخلقه وذاك هو آخر الابحاث لان الابحاث اربعة
بحث عن وجود الشيء بهل هو وبحث عن جنسه بما هو وبحث عما يباين به غيره
باي شيء هو وبحث عن الغرض بلم هو وهذه الابحاث يبتني بعضها على بعض
لا يصح معرفة الثاني الا بمعرفة الاول ولا معرفة الثالث الا بالثاني ولا معرفة الرابع
الا بالثالث وقولهم ربنا ما خلقت هذا باطلاً يقتضي انهم عرفوا الابحاث الاربعة
والا شهدوا بما لم يتحققوا ومن شهد بما لا يتحقق كذب وان كان ما شهد به على ما شهد
به الا ترى ان الله تعالى كذب المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله وان

كان

وان كان هو رسوله فدلت هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي الى معرفة حقائق
الموجودات التي تتضمن معرفة الباري هو من العلوم الشريفة بخلاف قول الصم
البكم العمي الذين لم يجعل الله لهم نوراً حيث يدعون من اشتغل بمعرفة ذلك

وجوب بعثة الانبياء وعلة الاستغنا عنهم

بعثة الانبياء الى الناس
من الضروريات التي لا بد لهم منها وذلك ان جل الناس نقص عن معرفة
ومضارهم الاخروية كلياتها وجزئياتها وبعضهم وان كان لهم سبيل الى معرفة كلياتها
ذلك على سبيل الجملة فلا سبيل لهم الى معرفة جزئياتها ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف
يجب وفي اي وقت يجب وكم يجب فلما كان كذلك من الله عز وجل
على كافة عباده خاصتهم وعامتهم برسل بعثهم فيهم من انفسهم يتلون عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكي اذا تمسكوا به صلح لهم معاشهم ومعادهم وسهل
عليهم ادراكهم ولهذا ازاح الله تعالى علتهم ببعثة الانبياء فقال عز وجل وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا

ازاح

ما يعرف به صحة النبوة

لكل نبي آيتان
احديهما عقلية يعرفها اولوا البصائر من الصديقين والشهداء ومن يجري مجراهم
والثانية حسية يدركها اولوا الابصار من العامة فالاولى ما لهم من اصولهم الزكية
وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلائلهم المتقدمة والمستصحبة لهم وانوارهم الساطعة
التي لا تخفى على اولي البصائر كما قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت نزاهته تغنيك عن خبر وذاك ان حق النبي
ان يكون من اكرم تربة في العالم وحيث يكون عقل اربابها اوفر ولهذا لم يبعث
نبي من الاطراف التي تضعف عقول اصحابها ويجب ان يكون من عنصر كريم
من بيت الفضل ولهذا قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ونبه تعالى بقوله
بعضها من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت واحد ولا تخرج عنهم لكونهم
اشرف ويجب ان يكون عليه انوار تروق من وراها واخلاق تملك من ابتلاها

وفي بعض النسخة تروق من رآها

كما قال عز وجل • والقيت عليك محبة مني • وقال لنبينا عليه السلام • وانك لعلى خلق عظيم • ويجب ان يكون كلامه ذا حجة وبيانه يشفي سامعه اذ كان متخصصاً بنور العقل • ولذلك قال عز وجل • وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم • وهذه الاحوال اذا حصلت لا يحتاج ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانبياء من الملائكة فيما يخبرونهم به حجة • ولهذا لما عرض النبي عليه السلام على ابي بكر رضي الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول حتى قال ما احد عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم فيه • واما الآية الثانية فهي المعجزة التي يدركها الحواس من الانبياء وذلك يطلبه احد رجلين اما ناقص عن الفرق بين الكلام الالهي والكلام البشري • وعن ادراك سائر ما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك • واما ناقص مع نقصه وهو معاند فقصده بما يطلبه العناد • كما قال تعالى حكاية عن كفار قريش • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تاتي بالله والملائكة قبيلاً او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا

الكبوه

وفي بعض النسخة العناد من المعاندة

باب كون العقل والرسل هاديين للخلق الى الحق • لله عز وجل رسولان الى خلائقه احدهما من الباطن وهو العقل والثاني من الظاهر وهو الرسول • ولا سبيل لاحد الى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن فبالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولا هو لما كان يلزم الحجة بقوله ولهذا احال الله تعالى من شكك في وحدانيته وصحة نبوة انبيائه على العقل وامره بان يفزع اليه في معرفة صحتها فالعقل قائد والدين مسدد ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقياً ولو لم يكن الدين باقياً لاصبح العقل حائراً واجتماعهما كما قال عز وجل نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء

باب تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في العلوم العقلية

المعقولات

المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى الاغذية الحافظة للصحة وكما ان الجسم متى كان مريضاً لم ينتفع بالاغذية بل يستضر بها كذلك من كان مريض النفس كما قال تعالى في قلوبهم مرض لم ينتفع بسماع القران الذي هو موضوع الشرعيات بل صار ذلك ضاراً له مضرة الغذاء بالمريض وعلى هذا قال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وايضاً فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والاعتقاد فيه بمنزلة البذر ان خيراً فخير وان شراً فشر وكلام الله بمنزلة الماء يسقيه ولذلك سماه ماء على ما تقدم ذكره فكما ان الماء اذا سقي الارض يختلف نباته بحسب اختلاف بذوره كذلك القران اذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب يختلف تاثيراته والى ذلك اشار تعالى بقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقال عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون وايضاً فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر وغشاوة على القلب ووقر في الاذن والقران لا يدرك حقائقه الا من كشف غطاؤه ورفع غشاوه وازيل وقره ولذلك قال تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً الآية فالمعقولات كالحياة التي بها الاستماع والابصار والقران كالمدرك بالسمع والبصر فكما انه محال ان يسمع الميت قبل ان يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من المحال ان يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات ولهذا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون يعني آيات السموات والارض وغيرهما

باب الايمان والاسلام والتقوى في البر والاسلام • الايمان هو الاذعان

للمحق على سبيل التصديق له باليقين ولهذا وصف الله تعالى العلم والايمان بوصف
واحد فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم ووجل القلب هو الخشية للمحق على سبيل التصديق له باليقين
هذا اصل الايمان لكن صار اسما لشريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كالاسلام وصح
ان يطلق على من يظهر ذلك وان لم يتخصص به اعتقادا عن يقين وثلج صدر كاليهودي
في ان اصله المنسوب الى يهوذا والنصراني في ان اصله المنسوب الى نصران وهي قرية
ثم صار اسمين للمتخصصين في الشريعتين على ان اشتقاق الايمان لا يمنع من ان يطلق
على من يظهره ذلك فان معنى المؤمن هو من صار ذا امن وباظهار الشهادتين
يامن الانسان من ان يراق دمه او يباح ماله في الحكم ولهذا قال عليه السلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وروي في الخبر شهادة ان لا اله الا الله كلمة جعلها الله بيننا
فمن قالها من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن في قلبه كان له ما لنا وعليه
ما علينا وحسابه على الله وذاك انه لا يطلع على القلوب الا علام الغيوب والشريعة
واردة بان يطلق اسم الايمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير فحص عن قائله ولا
يتحاشى من اطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الايمان بخلاف ما ادعاه بعض
المعتزلة بانه لا يصح اطلاق اسم المؤمن على الانسان ما لم يختبر في الاصول الجملة
ويوقف منه على حقيقة ما عنده والاسلام هو الاستسلام لما يدعوا اليه الشرع
من فعل ما يقتضي فعله والملة القود الى الطاعة والدين الانقياد له وهما بالذات
واحد لكن الدين هو الطاعة فيقال اعتبارا بفعل المدعو الى الطاعة والملة من
املت الكتاب فيقال اعتبارا بفعل الداعي اليها والشارع لها ولكونهما واحدا
بالذات قال تعالى دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا فابدل الملة من الدين والدين
اعم من الاسلام اذ هو يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في
الحق ولهذا قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يبتغ غير

الاسلام

الاسلام دينا فلن يقبل منه والاحسان تحري الحسنى في الايمان والاسلام ولهذا
قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك
تراه والتقوى جعل النفس في وقاية من سخط الله وذلك بقمع الهوى والبر السعة في
العلم اي علم الحق وفعل الخير مشتقا من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه بانشراح
الصدر واطمينان القلب وقال عليه السلام البر ما سكنت اليه نفسك واطمان
اليه قلبك والاثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك وقال البر طمانينة والشر
ريبة ومن البر الجود ومن اجله جعل من الايمان قال عز وجل فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء والاخلاص ان يقصد الانسان بما يفعله وجه الله متبريا عن الالتفات
الى غيره ولذلك قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتعلة وجود
ذلك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولما كان الايمان يقال اعتبارا
بالعلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح والتقوى بقمع الهوى قال
صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب والتقوى واشار
الى صدره لما كان الصدر مقر قوى الانسان من الفكرة والشهوة والغضب ثم قال
ولا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال عليه
السلام الايمان قائد والعلم سائق والنفس حرون فان ابى قائدها لم تستقم لسائقها
وان ابى سائقها لم تطع قائدها ولما كان الاسلام والايمان والتقوى متلازمة قال
تعالى في الجنة اعدت للمتقين في موضع آخر وجنة عرضها كالارض السموات والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله وقال تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية في الايمان اختلف في الايمان هل
هو اعتقاد المجرد ام الاعتقاد والعمل معا واختلافهم بحسب اختلاف نظرهم فمن قال
هو الاعتقاد المجرد نظر منه الى اشتقاق اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة القرآن
فعطف بالعمل عليه كقوله عز وجل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولان النبي عليه

السلام فرّق بينهما في خبر جبرائيل عليه السلام حين سأله عن الاسلام وعن الايمان ففسّر الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد ومن قال هو الاعتقاد والعمل فلقوله عليه السلام الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وكذلك اختلفوا هل يكون في الايمان زيادة ونقصان فقال قوم يكون فيه ذلك لقوله عز وجل فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله عز وجل واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن خالفهم قال الشئ انما يزداد بغلبته على ضده وينقص بغلبة ضده عليه قالوا والايمان لا يحصل الا بعد ان يكون غالباً على الكفر فلا يضاده حتى يقال انه يغلب عليه وكذلك اختلفوا في جواز اطلاق اسم الايمان على من اقرّ بالشهادتين فقال بعضهم يجوز ذلك نظراً الى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للجارية التي سألها عن الله فاشارت الى السماء وعن النبوة فاشارت عليه فقال اعتقها فانها مؤمنة ولانّ الايمان ليس بذي منزلة واحدة ومن قال لا يجوز فنظر منه الى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ولما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قال انا مؤمن فهو فاسق ومن قال انا عالم فهو جاهل ان قيل ما معنى قول النبي عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن قيل الايمان ذو منازل كما وصف صلى الله تعالى عليه وانما يكون الانسان مؤمناً بلا مثنوية اذا استوعب منازله فتعرّى من جميع الشرور وتخصص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر ومتى انخرم بعض ذلك خرج هو عما هو كقولهم عشرة لكونه اسماً لعدد مخصوص اذا سقط بعضه سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكامل ان لا يكون زانياً ولا سارقاً

معنى قوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون باباً

ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون باباً اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وهذه لفظة من تأملها وعرف حقيقتها علم انّ الايمان بالواجب هو اثنتان وسبعون درجة لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا يوجد من الايمان ما هو خارج عنها بوجه فانه عليه

الاماطة

السلام

السلام فيما يورده كما وصفه الله تعالى بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى بيان ذلك انّ الايمان شيئان اعتقاد واعمال فالاعتقاد على ثلثة منازل يقيني لا يعتريه شبهة بوجه ما كما قال عز وجل الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وظني وذلك ما كان عن امارة قوية واعني بالظن ههنا ما يفسره اهل اللغة باليقين نحو قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وتقليدي وذلك ما يعتقد عن رأي اهل البصائر كما وصفه تعالى بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم والاعمال ثلثة عمارة الارض المعنية بقوله عز وجل واستعمركم فيها وعبادة الله المعنية بقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخلافة الله المعنية بقوله ويستخلفكم في الارض وقوله اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري مكارم الشريعة فهذه ستة وكل واحد من هذه اما ان يتحراه الانسان عن رغبة او رهبة كما قال عز وجل ويدعوننا رغباً ورهباً او يتحراه عن الاخلاص بطوع واهتزاز نفس كما قال عز وجل واخلصوا دينهم لله فهذه اثنا عشر منزلة وكل واحد من هذه اما ان يكون الانسان في مبدائها او في وسطها او في منتهاها لانّ كل فضيلة ورذيلة لا ينفك الانسان فيها من هذه الاحوال الثلث ولهذا قال تعالى في الفضيلة ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين وقال في الرذيلة انّ الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الآية فجعل منازل الايمان ومنازل التقوى ثلثة كما ترى فهذه اثنا عشر في ثلثة تكون ستة وثلثين وكل واحد من هذه الستة والثلثين اما ان يتوصل الانسان اليه من طريق الاجتبا او من طريق الهداية والاجتبا للانبياء ومن يليهم من الاولياء وهو ايثار الله تعالى بعض عباده بفيض الهي يأتيهم عنه الحكمة بلا سعي منهم وعلى هذا قوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك الآية وقوله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء والاهتدا للحكماء والعلماء وهو توفيق الله للعبد ليطلب بسعيه وجهده الحكمة فتحصل

له منها بقدر ما يتحمل من المشقة وآيا هما عنى بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب وقوله عزّ وجلّ وممن هدينا واجتبينا فهذه اثنان
وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها ولا النقصان منها وكلّ ما ورد من الاخبار ليس
نضف
بخارج منها والله الموفق ومما هو من جملة العبادة قوله عليه السلام الوضوء
الايمان وقوله الايمان الصلوة من فرّغ لها قلبه واقامها بحدوده ووقتها
وسننها ومما هو من مكارم الشريعة قوله عليه السلام الحيا من الايمان وقال
خصلتان لا تجتمعان في مؤمن الشح والايمان وقوله ثلث من جمعهن جمع
الايمان الانفاق من الاقتار والانصاف المؤمن من نفسه وبذل السلام وقوله
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقوله عليه السلام لاناس من
اصحابه ما ايمانكم قالوا نصبر على البلا ونشكر في الرخا ونرضى بالقضاء فقال عليه
السلام مؤمنون ورب الكعبة **انواع الجهل** الانسان في الجهل على اربعة
منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا لا صالحا ولا طالحا وامره في ارشاده سهل اذا
كان له طبع فانه كلوح ابيض لم يشغله نقش وكارض بيضاء لم يلق فيها بذر ويقال
له باعتبار العلم النظري غفل وباعتبار العلم العملي غمر ويقال له سليم الصدر والثاني
معتقد لراي فاسد لكنه لم ينشأ عنه ولم يترب عليه فاستنزاله عنه سهل وان كان
اصعب من الاول فانه كلوح يحتاج الى حذف وكتابة وارض يحتاج الى قلع
وزراعة ويقال له غاو وضال والثالث معتقد لراي فاسد قد ران ذلك ترات
له صحته فركن اليه بجهله وضعف خبرته فهو ممن وصفه الله تعالى عزّ وجلّ بقوله
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فهذا ذو داء اعيا الاطبا من دف
دوائها ولا سبيل الى تهذيبه وتنبيهه كما قيل لحكيم يعظ شخصا جاهلا ما تصنع
فقال اغسل مسحا لعله يبيض والرابع يعتقد اعتقادا فاسدا عرف فساده او تمكن
من معرفته لكنه اكتسب دنيئة لرأسه وكرسيا لرياسته فهو يحامي عليها فيجادل
بالباطل ليدحض به الحق ويذم اهل العلم ليتجر الى نفسه الخلق ويقال له فاسق ومنافق الدحض

وهو

وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله عزّ وجلّ واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم ورايتهم يصدّون وهم مستكبرون فنبه الله
تعالى انهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه لكن يستكبرون عن التزام
الحق وذلك حال ابليس فيما دعي اليه من السجود لآدم عليه السلام والجنون هو
عارض يغير العقل والحمق قلة التنبه بطريق الحق وكلاهما يكونان خلقة تارة وعارضا
تارة وقد عظم الحمق ما لم تعظم الجنون وقد صدق الشاعر في قوله لكل داء دواء
يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها وقد حكيت حكاية هي وان لم تصح
نافع ذكرها وهي ان عيسى عليه السلام اتي باحمق ليداويه فقال اعياني مداواة
الاحمق ولم يعيني مداوات الاكمه والابرص ومما يفرق بينهما ان المجنون يكون
غرضه الذي يريده ويقصده فاسدا وسلوكه الى غرضه صوابا والاحمق يكون غرضه وفي النسخة خطاء
الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطاء ولهذا يعرف المجنون اذا رئيت ارادته قبل
سلوكه الى مراده والاحمق لا يعرف بمراده بل يعرف بسلوكه ولهذا متى صح ارادة
المجنون صح فعله حتى يتعجب كثيرا من فلتات صوابه والاحمق لا يكاد يصيب
في شيء من مسالكه واما البله فقلة التنبه على الامور الدنيوية ويضاده الكيس
وقد تقدم ان البله والكيس يطلقان تارة باعتبار الامور الدنيوية وتارة يكون باعتبار
الامور الاخروية ممن كان في احديهما كيسا كان في الاخرى ابله قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه
الكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور واما الرقيع فهو يلصق بقلبه كل محال كانه
رقع بذلك والارعن الذي يأبى لما يخرج عن الصواب تشبيها برعن الجبل وهو
الحد منه والاحمق الناقص العقل من قولهم انحمقت السوق اي نقصت
والغمارة قلة التجربة في الامور العملية مع تخيل سليم وقد يكون الانسان غمرا في شيء
غير غمر في آخر والخرق يقال في الجاهل بالعلوم العملية وذلك بان يفعل اكثر مما يجب
او اقل وعلى غير النظام المحمود وفساد كل عمل لا يعدو هذه الوجوه الثلثة ويضاده
الحمق والغي اتباع الهوى وترك ما يقتضيه العقل والضلال ان يقصد لاعتقاد

الحق او قول الصدق او فعل الجميل فظن لتقصيره وسوء تصوره فيما كان باطلاً انه حق فاعتقده او فيما كان كذباً انه صدق فقاله او فيما كان قبيحاً انه جميل ففعله والجهل عام في ذلك والخب استعمال الدهاء في الامور الدنيوية صغيرها وكبيرها والجربزة مثله لكن تقال فيما يقتضي الارباح الدنية والدهاء مثله لكن تقال في الامور العظام اذا ادرك غاياتها ولهذا قالوا الدهاة في الاسلام اربعة فذكروا المتوجهين في الاحتيالات الدنيوية التي بلغوا بها اموراً كباراً ومن الجهل الكفر وهو عناد الانسان للحق لا سبيل التكذيب له لا بيقين واصله ستر ما جعله الله للانسان بفطرته وصبغته من المعارف بما يستعمله ويتحراه من عناد الحق ومن ترك النظر والاخلال بالتزكية للنفس المعينة لقوله قد افلح من زكاها كون العلم في نفس الناس نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة مجعولة لها بالقوة كالنار في الحجر والنخل في النواة والذهب في الحجارة وكالماء تحت الارض لكن كما ان من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ما يعاين تحت الارض لكن لا يوصل اليه الا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه الى حفر وتعب شديد فان عني به ادرك والا بقي غير منتفع به كذا العلم في نفوس البشر منه ما يوجد من غير تعلم بشري وذلك كحال الانبياء فانه يفيض عليهم المعارف من جهة الملاء الاعلى ومنه ما يوجد منه بادني تعلم ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس ولكون العلم مركوزاً في النفوس قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الآيات فنبه انهم اقروا بنفوسهم كلهم بما ركز في عقولهم فاما الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم وكذلك المعنى بقوله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله اي لئن اعتبرت احوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك وعلى هذا فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فبين ان الدين الحنيف وهو

الرشاء

المستقيم

وهو المستقيم قد فطر الناس عليها اي خلقهم عالمين به وان المعاندين وان قصدوا تبديله وازالة الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله عز وجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وقال عز وجل فيمن قوي منه الفطرة والصبغة اولئك كتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتاباً وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على فطرة وهذه الشهادة الماخوذة عليهم فالناس فيها ضربان ضرب اجالوا فكرهم وخواطرهم حتى ادركوا حقايقها فصاروا كمن حمل شهادة فنسيها ثم تذكرها ولذلك قال في غير موضع لعلكم تذكرون وليتذكر اولوا الالباب وضرب اهملوا انفسهم ولم يشتغلوا بتذكر ما حملوا كما قال واذا ذكروا لا يذكرون فهم في الجهالة يتسكعون وعلى التذكر حثنا الله تعالى بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به وقال عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر اي يسرنا القران ليكون سبباً ان يتوصلوا به على تذكر ما سبق من عهدكم والتذكر على اضرب الاول ان يكون باللسان عن صورة ما حصل في القلب الثاني ان يكون بالقلب كصورة ما حصل عن شي معهود اما بالبصر او بالبصيرة او غيره من المشاعر والثالث ان يكون عن صورة مضمنة بالفطرة في الانسان وهو المشار اليه بهذه الآيات ومن هذا الوجه قال الحكماء التعلم ليس يجلب الى الانسان شيئاً من خارج في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بجلائه ممثلة كمثل الحافر المستنبط للماء من تحت الارض وكالصيقل الذي يبرز الجلا في المراة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله

باب حصر انواع المعلومات

انواع العلوم ثلثة نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ونوع يتعلق بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به تحصيل الالفاظ بوساطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم ذوات الالفاظ وهو علم اللغة والثاني حكم لواحق الالفاظ وذلك شيئان شي يشترك فيه النثر والنظم وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف وشي يختص

به النظم وهو علم العروض وعلم القوافي واما النوع المتعلق باللفظ والمعنى
فخمسة اضرب علم البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة وعلم البلاغة وعلم الشعر
واما النوع المتعلق بالمعنى فضربان علمي وعملي فالعلمي ما القصد منه ان يعلم فقط
وذلك معرفة الباري عز اسمه ومعرفة النبوة ومعرفة الملائكة ويوم القيمة ومعرفة
العقل ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الامور ومعرفة الاركان ومعرفة الاثار العلوية من
الفلك والنيرين والنجوم ومعرفة طبايع النبات ويقال له علم الفلاحة ومعرفة طبايع
الحيوانات ومعرفة طبايع الانسان ويقال له علم الطب واما العملي فهو ما يجب
ان يعلم ثم يعمل وتارة يسمى السنن والسياسات وتارة الشريعة وتارة احكام
الشرع ومكارمه وذلك علم العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم وحكم المناكح
وحكم المزاجر والطريق التي تستفاد منها العلوم اضرب الاول المستفاد من بديهة العقل
ومصادفة الحس وذلك يحصل للكل من لم يكن مؤوف الافة وان اختلفت احوالهم في
ذلك الثاني المستفاد من جهة النظر اما بمقدمات عقلية او بمقدمات محسوسة
الثالث المستفاد بخبر الناس اما بسماع من افواههم او بالقراءة من كتبهم ولا يكون الخبر
علما الا ما كانت الطبقة عن خبر به مرتفعة الرابع ما كان عن الوحي اما بلسان
ملك مرئي كما قال عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك واما بسماع كلام من
غير مصادفة عيان كحال موسى صلى الله تعالى عليه وسلم واما بالقاء في الروع في
حال اليقظة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر
رضي الله عنه واما في المنام وهو المعني بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وينطوي على ذلك قوله عز وجل ما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء

باب ما يعرف به فضيلة العلوم فضيلة العلوم تعرف بشيئين احدهما شرف
ثمرته والاخر وثاقة دلالته وذلك كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمرة علم
الطب الوصول الى الحيوة الدنيوية المنقطعة وثمرة علم الدين الوصول الى الحيوة

الابدية

الابدية وعلم الدين اصوله ماخوذة عن الوحي واصول الطب ماخوذة
اكثرها عن التجارب ورب علم يوفي على غيره باحد الوجهين وذلك
الغير يوفي عليه بالوجه الاخر كالطب مع الحساب فللطب شرف
الثمرة اذ هو يفيد الصحة صحة البدن وللحساب وثاقة الدلالة اذ كان
العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة وليس يجب ان يحكم بفساد علم لخطاء
وقع من اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا من اخطاء في مسئلة حكموا على
صناعته بالفساد واذا راوا من اصاب في مسئلة حكموا لصناعته بالصحة
وذلك عادتهم في الطب والتنجيم فيعتبرون الصناعة بالصانع خلاف
ما قال امير المؤمنين رضي الله عنه يا حار ملبوس عليك الحق لا يعرف بالرجال
اعرف الحق تعرف اهله وليس يدرون ان الصناعة مبنية على شيء روحاني
والمتعاطي لها يباشرها بالطبع وجسم يضامهما العجز فهو خليق بوقوع الخطاء منه
ثم الانسان قد ينتحل ما لا يحسنه فيتدرع بدعوى ما لم يجز الة ثم كثير ممن
يتخصص بصناعة يدعي لصناعته ما ليس في طبعها كالكثير من المنجمين المدعين
للنجوم ما ليس في طباعها ما لا يوجد في التنجيم فاذا لا اعتبار بدعاوى الناس

باب استحسان معرفة انواع العلوم حق الانسان ان لا يترك شيئا
من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا ويخبر بشمة عرفه ويذوقه طيبه ثم
ان ساعده القدر على التغذي به والتزود منها فبها ونعمت والا لم يصر بجهله
بمحله وغباوته عن منفعته معاديا له بالطبع شعر ومن يك ذا فم مر مريضا
يجد مرا به الماء الزلالا ومن جهل شيئا عاداه فالناس اعداء ما جهلوا بل قال
تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي عن بعض فضلاء
القضاة انه بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك
فقال وجدته علما نافعا فكرهت ان اكون لجهلي به معاديا له ولا ينبغي للعاقل
ان يستهين لشيء من العلوم بل يجب ان يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه

ومنزله الذي يستوجبه وان يشكر من هداه بفهمه وصار سبباً لعلمه فقد حكي عن
بعض الحكماء انه قال يجب ان يشكر آباء الذين ولدّوا الشكوك اذ كانوا
اسباباً لمن حرك خواطرنا للنظر في العلم فضلاً عن شكر من افادنا طرفاً من العلم
ولولا فكر من تقدمنا لاصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح الدنيا فضلاً
عن مصالح الاخرى فمن تأمل حكمة الله تعالى في اقل آلة يستعملها الناس كالمقراض حيث
جمع بين سكينين مركباً على وجه يتوافى حداهما على نمط واحد للقرض اكثر تعظيم الله
وشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **باب** معادات بعض
الناس لبعض العلوم العلم طريق الى الله عز وجل ذو منازل قد وكل الله بكل
منزلة منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طرق الحج والغزو فمن منازله معرفة
اللغة التي عليها مبنى الشرع ثم حفظه كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم
علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسايط من معرفة اصول
البراهين والادلة ولهذا قال عز وجل هم درجات عند الله وقال تعالى يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف
مقدار نفسه ومنزلته ووفى حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله تعالى
لحفظ مكانه ثواباً على قدر علمه لكن ما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في
مكسبه وطالب لرياسته وجاهل معجب بنفسه يصير لاجل تنفيق سلعته صارفاً عن
المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعايباً له فهكذا ترى كثيراً ممن حصل في منزلة من منازل
العلوم دون الغاية عايباً لما فوقه وصارفاً عنه من رامه فان قدر ان يصرف الناس
عنه بشبهة مزخرفة والا نفرهم عنه فعل من قال الله تعالى فيهم وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وما ارى من هذا صنيعته الا من الذين
وصفهم الله تعالى بقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وذكر الترمذي هذه المسئلة وقال اذا كان من يقطع
على الناس طريق مكاسبهم الدنيوية يستحقون ما ذكر الله تعالى في قوله انما جزاء الذين

يحاربون

يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا الآية فما
اظن فيما يستحقه من العقوبة من يقطع الطريق على المسافرين الى الله وحكي عن عيسى
عليه السلام انه قال يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم تدخلوا ولم تدعوا غيركم يدخلها
مثلكم كمثل الدفلي زهره حسن وثمره يقتل من اكله الحث على تناول البلغة من
كل العلم والاقتصار عليه من كان قصده الوصول الى جوار الله تعالى والتوجه نحوه
كما قال عز وجل ففروا الى الله وكما اشار النبي عليه السلام بقوله سافروا تغنموا
فحقه ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل السفر فيتناول منه في كل
منزل قدر البلغة ولا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فتقصى الانسان نوعاً
واحداً من العلوم على الاستقصاء يستفرغ عمراً بل اعماراً ثم لا يدرك قعره ولا يسبر
غوره وقد نبهنا الله عز وجل ان نفعل ذلك بقوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب
وقال امير المؤمنين رضي الله عنه العلم كثير فخذوا من كل شيء احسنه
قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين وقيل حل
طبعك بالعيون والفقر فالشجرة لا يشينها قلة الحمل اذا كانت ثمرتها نافعة ويجب
ان لا يخوض الانسان في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله وعلى الترتيب بلغته
ويقضي منه حاجته فازدحام العلوم في السمع مضلة للفهم وعلى هذا قال تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً
وعملاً ويجب ان تقديم الاهم فالاهم من غير اخلال بالترتيب وكثير من الناس
نكلوا الوصول بتركهم الاصول وحقه ان يكون قصده من علم يتحراه التبلغ به
الى ما فوقه حتى يبلغ النهاية والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة
والمصدوقة فالعلوم كلها خدم لها وهي حرة وروي انه رأى صورة حكيمين من
القدماء المتألهين في بعض مساجدهم وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل
شيء فلا تظنن انك احسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب

الاسباب وموجد الاشيا، وفي يد الآخ كنت قبل ان عرفت الله اشرب
واظما، حتى اذا عرفته رويت بلا شرب بل قد قال الله تعالى ما قد اشار به الى ما هو ابلغ
من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم اى اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك ان يقول قولاً باللسان
اللحمي فذلك قليل الغنا ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية وعلى ذلك قول النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصاً دخل الجنة ويجب ان لا يتعرى
علمه من مراعاة العمل فيه تبلغ الا ترى انه ما اخلى ذكر الايمان في عامة القران من ذكر العمل الصالح
نحو قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات والى ذلك اشار تعالى بقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير العمل مادة للذنوب وقيل العلم اسّ والعمل
بناء والاسّ بلا بنا باطل وقال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل يا هذا اذا
افنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تريد ان تقاتل وقال الشاعر ما يصلح اشارة الى هذا
المعنى فغلام ان لم اشف نفساً ةو يا صاحبي اريد حمل سلاحي احوال
الانسان في استفادة العلم وافادته كما ان للانسان في مقتنياته اربع احوال
حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن المسئلة وحال
انفاق على نفسه فيصير به منتفعاً وحال افادة غيره فيصير به سخياً كذلك ايضاله في العلم
اربع احوال حال استفادة وحال تحصيل وحال استبصار وحال تبصير وتعليم ومن
اصاب مالاً فانتفع به ونفع غيره من مستحقيه كان كالشمس تضئ لغيرها وهي
مضية والمسك الذي يطيب به وهو طيب وهذا اشرف المنازل ثم بعده من
استفاد علماً فاستبصر به وبلغ مراده به فهذا ممن اشار اليه بقوله يا ايها الذين آمنوا
عليكم انفسكم الآية فهو كنور العين يدرك مراده ولا يقدر على ان يفيد غيره الادراك
فاما من افاد علمه غيره ولم ينتفع به هو فكالدفتر يفيد غيره الحكمة وهو عادمها وكالمسن
يشحذ وهو لا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي وكذبالة المصباح تضئ للناس وهي
تحترق ومن استفاد علماً ولم ينتفع به هو ولا نفع غيره فانه كالنخل شرع
شوكاً لا يذود به عن حمله كف جان وهو منتهب **باب** ما يجب على المتعلم

ان يتحراه

ان يتحراه حق المترشح لتعلم الحقايق ان يراعي ثلثة من الامور الاول ان
يطهر نفسه من رذي الاخلاق تطهير الارض للبذر من خبائث النبات فقد
تقدم ان الطاهر لا يسكن الا بيتاً طاهراً وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب
والثاني ان يقلل من الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية **شعر** شو
فما صاحب التطواف يعم منهلا، وربعاً اذا لم يخل ربعاً ومنهلا، وقد قال الله
عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والفكرة متى توزعت كانت كجدول
يفرق ماؤه فيتنشفه الجو ويتشربه الارض فلا يقع به نفع واذا جمع بلغ
المزرع فانتفع به والثالث ان لا يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب
للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر
وكانما اياه عنى من قال **شعر** خدم العلى فخذ منه وهي التي، لا تخدم الاقوام ما لم تخدم شو
ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كارض دمثة نالت مطراً غزيراً فتلقته بالقبول
لم ينتفع به فحقه ان يضرع له كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد اى لمن لا يفتنه علم يستغني به او تذلل لاستماع الحق
واقتباسه ممن عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم اليد
العليا خير من اليد السفلى اشارة الى فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم
حث المتعلم على الانقياد له وكما ان من حق المريض ان يكل الى الطبيب الناصح
الذي وقف على دائه ليطلب الطبيب دواه وغذاه فانه تشهى لم يتشه الا ما
فيه داه ولم يحبو الا ما فيه شفاه **شعر** ومن يك ذا فم مر مريض، يجد مراً به الماء الزلالا شو
كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلماً ناصحاً ان يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس
بصدد تعلمه وكفى على ذلك تنبيهاً ما حكى الله عز وجل عن العبد الصالح انه قال لموسى عليه
السلام حيث قال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فقال له لا تسألني
عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن مراجعته وليس ذلك نهياً محاحث

الله تعالى في قوله فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وذاک ان النهي انما هو نهي
عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما هو على سؤال عن تفاصيل ما
خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم ان
لا يصغى الى الاختلافات المشككة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو
بصدده لئلا يتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلک به الى الارتداد ولذلک
نهى تعالى من لم يكن قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا وقال تعالى لا تتبعوا اهواء قوم قد
ضلوا من قبل ومن اجل ذلک كره للعامة ان يجالسوا اهل الاهواء والبدع
لئلا يغووهم فالعامي اذا خلا بذوي البدع فكالشاة اذا خلت بالسبع وقال بعض
الحكماء انما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لانه تعالى اراد ان يقطع العصمة بين العرب
وبين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى فحرم على المسلمين
عن الاجتماع معهم في المواكلة والانس وقال صلى الله عليه وسلم في المؤمن والكافر
لا تتراءى ناراهما لذلک فاما الحكيم فلا بأس لمجالسته اياهم فانه جار مجرى سلطان
ذي اجناد وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو حيثما توجه ولهذا جوز له الاستماع الى
الشبه بل اوجب عليه ان يتتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم
ويدافعهم فالعالم افضل المجاهدين الذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد بالبيان
وجهاد بالبنان ولما تقدم سمى الله عز وجل في غير موضع الحجة سلطانا كقوله عز
وجل حكاية عن موسى عليه السلام اني آتيكم بسلطان مبين فاحب
ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه حق المعلمين ان يجري متعلميه مجرى بنيه فانه
في الحقيقة لهم اشرف الابوين كما قال الاسكندر وقد سئل امعلمک اكرم عليک ام
ابوک فقال بل معلمي لانه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية
وقد نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلک بقوله انما انا لكم مثل الوالد
وقال عليه السلام انا وعلي ابوا هذه الامة فعلي بمنزلة الام يرضعهم در العلم وانا لهم

بمنزلة

بمنزلة الاب فحق معلم الفضيلة ان يقتدي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذ هو في ارشاد الناس خليفته وليشفق عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه
كما قال تعالى في وصفه حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم واي عالم لم يكن له
من يفيده العلم صار كعاقر لا نسل له فيموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان
في الدنيا موجودا وان فقد شخصه كما قال علي رضي الله عنه العلماء باقون ما بقي
الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة وقال بعض الحكماء في قوله
تعالى فهب لي من لدنک وليا يرثني ويرث من آل يعقوب انه سأله
ليورثه علمه لا من يورثه ماله فاعراض الدنيا ادون عند الانبياء ان يشفقوا
عليها وكذا قوله تعالى واني خفت الموالي من ورائي اي خفت ان لا يراعوا
العلم وعلى هذا قال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وكما ان من حق اولاد الاب
الواحد ان يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلک حق بني العلم بل بني الدين ان
يكونوا كذلک فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلک قال تعالى انما المؤمنون
اخوة وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وحق العالم ان
يعرف من يريد ارشاده عن الرذيلة الى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في
الخطاب فالتعريض ابلغ من التصريح لوجوه احدها ان النفس الفاضلة ميلها
الى استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفا منه باستخراج معناه بالفكر ولذلک
قيل رب تعريض ابلغ من تصريح والثاني ان التعريض لا ينهتک به سجوف الهيبة
ولا يرتفع به ستر الحشمة والثالث ان ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض
وجوه فمن هذا الوجه يكون ابلغ ومن هذا الوجه حذف اجوبة كثيرة من الشروط
المقتضية للثواب او العقاب نحو قول الله عز وجل حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها والرابع ان للتعريض عبارات مختلفة فيمكن ايراده على وجوه مختلفة والتصريح
ليس له الا عبارة واحدة فلا يمكن ايراده الا على وجه واحد والخامس ان صريح النهي
داع الى المقابلة عند الترک للقبول الى الاغراء ولذلک قيل اللوم اغراء كما قال الشاعر

مهمه

السجف

دع اللوم فان اللوم یغری وانما اراد صلاحا من یلوم فافسدا وقال النبی صلی الله
علیه وسلم لو نهی الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهینا عنه الا وفیه العنت
شیٔ وکفی بذلک شهادة ما کان من امر آدم وحوا علیهما السلام فی نهی الله
تعالی ایاهما عن اکل الشجرة ومن حق المعلم مع من یفیده العلم ان یقتدی بالنبی
صلی الله تعالی علیه وسلم فیما علمه الله تعالی حیث قال قل لا اسئلکم علیه اجرا
فلا یطمع فی فائدة من جهة من یفیده علما ثوابا لما یولیه ولیعلم ان من باع
علما لعرض دنیوی فقد ضاد الله تعالی فی حکمه وذاک ان الله تعالی جعل المال
غلاما للمطاعم والملابس وجعل المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن خادما
للنفس وجعل النفس خادما للعلم والعلم مخدوم غیر خادم والمال خادم غیر
مخدوم فمن جعل العلم ذریعة الی اکتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غیر خادم خادما
لما هو خادم غیر مخدوم   وجوب منع الجهال من حقایق العلوم والاقتصار
بهم علی قدر افهامهم   واجب علی الحکیم والعالم النحریر ان یقتدی بالنبی علیه السلام
فیما قال انا معاشر الانبیاء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونکلم الناس بقدر
عقولهم   وان یتصور ما قال امیر المؤمنین رضی الله عنه حیث قال لکمیل بن
زیاد واومی بیده الی صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة بلی اصبت
لقنا غیر مامون علیه یستعمل آلة الدین للدنیا فیستظهر بنعم الله علی عباده وبحجته
علی کتابه او منقادا لاهل الحق لا بصیرة له یقتدح الشک فی قلبه باول عارض من شبهة
وروی عنه عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم انه قال کلموا الناس بما یعرفون ودعوا
ما ینکرون اتریدون ان یکذب الله ورسوله وقال صلی الله تعالی علیه وسلم ما احد
یحدث قوما حدیثا لا یبلغه عقولهم الا کان ذلک فتنة علی بعضهم وقال عیسی علیه
السلام لا تضعوا الحکمة فی غیر اهلها فتظلموها ولا تمنعوا اهلها فتظلموهم وکن
کالطبیب الحاذق یضع دواه حیث انه یعلم ینفع   وقیل تصفح طلاب
شعر حلمک کما تتصفح خطاب حرمک وبهذا الم ابو تمام   وما انا بالغیران

من

من دون جارتی   اذا انا لم اصبح غیورا علی العلم   وقیل لبعض الحکماء ما بالک
لا تطلع کل احد علی حکمة یطلبها منک فقال اقتداء بالباری عز اسمه حیث قال
ولو علم الله فیهم خیرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون   فبین ان منعهم لما لم یکن
فیهم خیر وبین ان فی اسماعهم ذلک مفسدة لهم   وسئل رجل جاهل حکیما عن مسئلة
من الحقایق فاعرض عنه ولم یجبه فقال له اما سمعت قول النبی صلی الله علیه وسلم
من کتم علما نافعا جاء یوم القیمة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته اترک اللجام ها هنا
واذهب فاذا جاء من ینفعه ذلک وکتمته فیلجمنی   وقال بعض الحکماء فی قوله تعالی
ولا تؤتوا السفهاء اموالکم التی جعل الله لکم قیاما انه نبه علی هذا المعنی وذلک لما منعنا من
تمکین السفیه من المال الذی هو عارض حاضر یاکل منه البر والفاجر تفادیا انه ربما یؤدیه
الی هلاک دنیوی فلان یمنع من تمکینه من حقایق العلوم اذا تناولها السفیه اداه الی ضلال
واضلال وهلاک واهلاک احق واولی فانه   اذا ما اقتنی العلم ذو شرة شعر
تضاعف ما ذم من مخبره   وصادف من علمه قوة   یصول بها الشر فی جوهره
وکما انه واجب علی الحکام اذا وجدوا من السفهاء رشدا ان یرفعوا عنهم الحجر ویدفعوا
الیهم اموالهم لقوله عز وجل فان آنستم منهم رشدا فادفعوا الیهم اموالهم فواجب
علی الحکماء اذا وجدوا من المسترشدین قبولا ان یدفعوا الیهم العلوم بقدر استحقاقهم
فالعلم قنیة یتوصل بها الی الحیوة الاخرویة کما ان المال قنیة یتوصل به الی المعاونة
علی الحیوة الدنیویة   وباذل العلم لمن لا یستحقه یستوجب عقوبة ومانعه اهله
یستوجب عقوبات   ولذلک قال عز وجل واذ اخذ الله میثاق الذین
اوتوا الکتاب لتبیننه للناس ولا تکتمونه   وقال عز وجل ان الذین یکتمون ما انزل
الله من الکتاب ویشترون به ثمنا قلیلا اولئک ما یاکلون فی بطونهم الا النار
الآیة وقال تعالی ان الذین یشترون بعهد الله الآیة   فاذا ثبت ذلک وجب
ان یکون من تقید من العامة بقید الشرع فحسنت حالة ان لا یصرف عما هو بصدده
فیؤدی ذلک الی انحلاله عن قیده ثم لا یمکن ان یقید بقید الخواص فیرتفع المسد

الذى بينه وبين الشرور وبينه وبين اشتغاله بعمارة الارض من بين تجارة او مهنة فحقه ان يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج اليه من هو فى مرتبته فى عبادة الله العامية وان يملاء نفسه عن الرغبة والرهبة الوارد بهما فى القران لا يولد له الشبه والشكوك وان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما بانبعاث شبهة تولدت له او ولدها ذو بدعة دفع اليه فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه ان يختبر فان وجد ذا طبع موافق للعلم وفهم ثاقب يتصور ما خلى بينه وبين التعلم وسوعد عليه بما يوجد اليه من السبيل وان وجد شريراً فى طبعه او ناقصاً فى فهمه منع اشد المنع ففى اشتغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد واشتغاله بما يكثر منه شبهة وليس فيه نفعه وكان بعض الامم المتقدمة اذا ترشح احدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقايق العلوم والخروج من جملة العامة الى الخاصة اختبر فان لم يوجد خيراً فى الخلق غير متهى للتعلم منع اشد المنع وان وجد خيراً ومتهيئاً للعلم شورط على ان يقيد بقيد فى دار الحكمة ويمنع ان يخرج حتى يحصل له العلم او ياتى عليه الموت ويزعمون ان من شرع فى حقايق العلوم ثم لم يبرع فيها ولدت له الشبه وكثرت فيصير ضالاً مضلاً فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر قيل نعوذ بالله من نصف متكلم

وجوب ضبط المتصدى للعلم ومضرة اهمال ذلك

لا شئ اوجب على السلطان من مراعاة احوال المتصدين للرياسة بالعلم فمن الاخلال بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذاك ان السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم على باطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسة لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة وفساده فى عكس ذلك ولما ترك مراعاة المتصدى للحكمة والوعظ وترشح قوم للزعامة فى العلم من غير

استحقاق

استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم بدعاً استغووا بها عامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم

شعر

فكل قرين الى شكله كانس الخنافس بالعقرب

وفتحوا بذلك طرقاً منسدة ورفعوا بها ستوراً مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدعوا العلماء وكفروهم اعتصاباً بسلطانهم ومنازعة لمكانهم فاغروا بهم اتباعهم حتى وطئوهم باخفافهم واظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام

ذكر من يصلح لوعظ العامة

لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص فى الحكيم بل لنقص فى العامى

شعر

فلن ترى الشمس ابصار الخفافيش والصقر يجفو عن طراد الدخل

وايضاً فبين الحكيم والعامى من تنافى طبعيهما وتنافر شكليهما من النفار قريب مما بين الماء والنار والليل والنهار

قف

وقد قيل لسلمة بن كهيل ما لعلى رفضه العامة وله فى كل خير ضرس قاطع فقال لان لان ضوء عيونهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم اميل وبهذا النظر لما قال جاهل للحكيم انى احبك فقال له نعيت الى نفسى فقيل له ولم قال لانه ان صدق فليس ميله الا لنقيصة بدت من نفسى لنفسه فانست به وعلى هذا قال الشاعر

شعر

لقد زادنى حباً لنفسى اننى بغيض الى كل امرئ غير باطل

فحق الواعظ ان يكون له مناسبة الى الحكماء ليقدر على الاقتباس منهم والاستفادة ومناسبة الى الدهماء يقدرون على الاخذ منه كالوزير للسلطان الذى يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك وتواضع السوقة ليصلح ان يكون واسطة بينه وبينهم وكالنبى الذى جعله الله من البشر واعطاه قوة الملك ليمكنه ان ياخذ من الملك ويمكن البشر ان ياخذوا منه والى هذا اشار بقوله تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً تنبيهاً ان ليس فى وسعكم التلقى عن الملك ما لم يتجسم فيصير صورة رجل فاذاً حق الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم والى العامة ياخذ منه ويعطيهم كنسبة الغضاريف الى اللحم والعظم جميعاً ولولاه لما امكن العظم ان يكتسب الغذاء من اللحم وهذا اذا تامل الطلع

منه على حكمة عجيبة وصنعة غريبة

الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ

حق الواعظ ان يتعظ ثم يعظ ويبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون
دفترا يفيد ولا يستفيد ومسنا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد
القمر الضوء ولها افضل مما تفيده وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمي اكثر
مما تنيل ويجب ان لا يخرج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن
وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض الآيات وبحق ما قال
امير المؤمنين رضي الله عنه قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك
والجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه والواعظ ما لم يكن مع
مقاله فعاله لم ينتفع به وذاك ان علمه مدرك بالبصيرة وعمله مدرك بالبصر
واكثر الناس اصحاب الابصار دون البصائر فيجب ان يكون عنايته باظهار
علمه الذي يدركه جماعتهم اكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة ومنزلة
الواعظ من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى فكما ان الطبيب اذا قال للناس
لا تاكلوا كذا فانه سم ثم راوه اكلا له عد ذلك سخرة وهزؤا كذلك الواعظ اذا امر
بما لا يعمله وبهذا النظر قيل يا طبيب طب لنفسك بل قد قال تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الى غير ذلك من الآيات
وايضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما انه محال ان
ينطبع الطين عن الطابع بما ليس منتقشا به كذلك محال ان يحصل في نفس
الموعوظ بما ليس بموجود في الواعظ واذا لم يكن الواعظ الا ذا قول مجرد من الفعل
لم تبق عند الموعوظ الا القول دون الفعل وايضا فان الواعظ يجري من الناس
مجرى الظل من ذي الظل فكما انه محال ان يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك
محال ان يعوج الواعظ والموعوظ مستقيم وايضا فكل شيء لا محالة فانه يجر
غيره الى نفسه بقدر وسعه بارادة منه او بغير ارادة كالماء الذي يحيل ما يلقاه

من

من العناصر الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار والارض والهواء فالواعظ
اذا كان غاويا جر بعيده وغيره الى نفسه ولهذا حكى الله تعالى عن الكفار ربنا
هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا وقال ايضا فاغويناهم انا كنا غاوين
فمن ترشح للوعظ ثم فعل فعلا قبيحا اقتدى به غيره فقد جمع وزره ووزرهم
كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها بل قد قال
تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء
ما يزرون وقال عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة
عما كانوا يفترون

صعوبة المعيار الذي يعرف به حقائق العلوم

كما ان للدراهم والدنانير ميزانا قد عرف اهله صحته فلكل علم له ميزان نحو الحساب
للمعدودات والهندسة للممسوحات والعروض للشعر والنحو للالفاظ العربية
والى هذا اشار بقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط واوصى الذين اعطاهم الميزان فقال وزنوا
بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكل شاك ومنازع غيره في مقدار حقه ان يعتمد ميزانه ان عرفه ويقلد اربابه ان لم
يعرفه فان من ترك ذلك واخذ يخرص ويحزر ويظن ويخمن لم يزل شكه ولم
يسقط خلافه فالخرص قل ما يصدق والظن قلما حقق ولذلك عبر بالخرص
عن الكذب فقال عز وجل ان هم الا يخرصون وقال تعالى قتل الخراصون وقال
تعالى في ذم الظن ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ومعلوم
ان ميزان الدين صوابه يوصل الى الثواب العظيم وخطاه يفضي الى العذاب الاليم
اصعب الموازين واشرفها واولاها بالمعرفة وكثير في زماننا ممن تحلى بعلم الكلام
وترشح فيه للجدال والخصام ورام الرغامة قبل اوانها وطلب موزوناته بغير
ميزانها اخذ كل واحد يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك بفطنته طريقا غير نهج

فاذا وقع بينهم خلاف جعل كلّ واحد ميزانه خرصه واتّبع فيما اعتقده ظنّه فاذا
تحاكموا الى ما اتّخذوه ميزاناً خالفهم الميزان اكثر من خلافهم فى الموزون فهم فى ذلك
كمن غصّ بالطعام فاستغاث بالماء شرق به او كمتّق لنفخ نار يستعدّ له ٣
بالجهل درعين من قار وكبريت لا جرم انّ كثيراً من مناظراتهم لا يولّد الّا شبهة
ولا يثمر الّا حيرة ولا يقوم عنه اثنان الّا مدت بها، بل ظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور كراهية الجدال
للعوام وذمه اباحة تعاطى الجدال للعامة الذين لم يتدرّبوا فى تحصيل القوانين
ولم يتهذّبوا فى سبيل البراهين يجرى مجرى حلّ قيد الشياطين ورفع سدّ ياجوج
وماجوج فانّها تثور سلطان قوتهم السبعية خالعة من يد قائد العقل وقيد
الشرع فالجدال مكروه للعلماء الالبّا فكيف للجهّال الاغبياء الا ترى انّ الله تعالى
قال لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وجادلهم بالّتى هى احسن فلم يطلق له جدال
مخالفيه حتّى قيّده بالاحسن هذا مع وصفه عليه السلام بقوله تعالى وانّك لعلى
خلق عظيم وقال فى ذمّ الجدال ما ضربوه لك الّا جدلا بل هم قوم خصمون وقال عزّ
وجلّ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين وقال واذا
رايت الّذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتّى يخوضوا فى حديث غيره والجدال
مع كونه مكروها شرايط وقوانين من تعاطاه ولم يكن متدرّباً بها كان خصماً جدلاً
والخصومة عديمة الفائدة قليلة العائدة فانّ الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم
ويثير الالفة لاقتباس العلم والخصومة لا يثمر الّا العداوة وانكار الحقّ ولهذا
جعلها الله تعالى شرّاً من الجدال فقال بل هم قوم خصمون وقال عزّ وجلّ فاذا
هو خصيم مبين ولم يذكر الخصام فى موضع الاعابة وايضاً فالمتجادلان تجريا
مجرى فحلين تعاديا وكبشين تناطحا وديكين تحاربا وكلّ واحد منهم يجتهد ان
يكون هو الفاعل وصاحبه المنفعل وان يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع والقائل
كالمؤثر والسامع كالمتاثر ومتى لم يخضع المتاثر لقبول اثر المؤثر لم يتولّد منها خير

بوجه وقال حكيم المجادل المدافع يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال ان لا يقنع
بشئ ومن لا يقنعه الّا ان لا يقنع فما الى اقناعه سبيل ولو اصفق عليه الحكماء
بكلّ بيّنة بل لو اجتمع عليه الانبياء بكلّ معجزة كما قال ولو انّنا نزّلنا اليهم الملائكة
وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الآية **ما يجب**
ان يعامل به الجدل المماحل اذا ابتليت لمجادل مهارش ومساجل مناوش
قصده اللجاج لا الحجاج ومراده مباهات العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبى صلّى الله
تعالى عليه وسلّم من تعلّم العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء كما قال الشاعر
شعر تراه معدّاً للخلاف كانّه يردّ على اهل الصواب موكّل فحقّك ان تفرّ منه فرارك
من الاساود والاسود فان لم تجد من مزاولته بدّاً فقابل انكاره الحقّ بانكارك الباطل
ودفاعه الصدق بدفاعك الكذب معتبراً فى ذلك قول الله عزّ وجلّ ومكروا مكراً ومكرنا
مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انّا دمّرناهم وقال ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين وقوله عزّ وجلّ حكاية عن المنافقين انّا معكم انّما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم
وقوله عزّ وجلّ فلمّا زاغوا ازاغ الله قلوبهم الآية وتبلغ بذلك معه واياك وان تزح
معه الى بثّ الحكمة وان تذكر له شيئاً من الحقايق ما لم تتحقّق انّ له قلباً طاهراً لا تعافه
الحكمة فقد قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب فانّ لكلّ تربة
غرساً ولكلّ بناء اساساً وما كلّ راس يستحقّ التيجان ولا كلّ طبيعة يستحقّ افادة البيان
وان كان لا بدّ فاقتصر معه على اقناع يبلغه فهمه فقد قيل كما انّ لبّ الثمار معدّ للنخل
والتبن مباح للانعام فلبّ الحكمة معدّ لذوى الالباب وقشورها مجعولة للانعام وكما
انّه من المحال ان يشمّ الاخشم ريحاناً فمحال ان تفيد الحمار بياناً واعلم انّ سبيل
انكار الحجّة والسعى فى افسادها اسهل من سبيل المعارضة بمثلها والمقابلة لها
ولهذا يتحرّى الجدل الخصم ابدا الدفاع لا المعارضة بمثلها وذاك انّ الافساد
هدم وهو سهل والاتيان بمثله بناء وهو صعب فانّ الانسان كما يمكنه
قتل النفس الزكيّة وذبح الحيوانات واحراق النبات ولا يقدر على ايجاد شئ

منها يمكنه افادة حجة قوية بضرب من الشبه المزخرفة ولا يمكنه الاتيان بمثلها ولاجل
ما قلنا دعا الله الناس فى الحج الى الاتيان بمثلها لا السعى فى افسادها فقال تعالى
قل فأتوا بسورة من مثله وقال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فرضى ان يأتوا بها فيه
مشابهة له وان كان ذلك مفترىً وقال ابراهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب   الوجوه التى من اجلها يقع الشبه والخلاف
السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل سببان المعنى واللفظ فاما
ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من جهة الناظر او من جهة المنظور فيه وهو
الحجة او من جهة الآلة التى تستعمل فى النظر فان الناظر فى الشئ المعتبر له جار مجرى وزان
وحجة كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر غير تام الفعل كان أعمى البصر
فلا سبيل له الى الوزن ومتى لم يكن اعمى البصيرة لكن هو غير مالك لقوانين البراهين والحجج
والادلة كان جارياً مجرى وزان عدم الميزان فأخذ يخمن والمخمن قلما ينفك من غلط
بل ما وقع منه من الصواب فغير معتد به اذ لا اصل له تسكن اليه النفس ومتى لم يكن اعمى
البصيرة لكن لا يعرف اى حجة يستعمل فيما هو بصدده فيطلب المعقول من جهة
المحسوس والمحسوس من جهة المعقول كان جارياً مجرى وزان بصير لكن يزن الدراهم
بصنج الدنانير والدنانير بصنج الدراهم واما ما كان من جهة اللفظ فاما ان يكون ذلك
واقعاً من جهة مفردات اللفظ او من جهة مركباته فان كان من مفردات اللفظ
فاما ان يكون من حيث ان اللفظ مشترك بين المعنيين كالعين واليد
ونحوهما او يكون اللفظ عاماً موضوعاً موضع خاص او خاصاً موضوعاً موضع
عام او يكون اللفظ مستعملاً لشئ لم يتقرر صورة ذلك الشئ فى نفس السامع فيتخيل له
وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات فاسدة فى الملائكة والجن
والشيطان والجنة والنار والميزان والصراط والكرسى فاما ما كان من جهة
التركيب فاما ان يكون من جهة الكمية وذلك بان يكون اللفظ اكثر مما يجب
ان يكون او اقل مما يجب ان يكون واما من جهة الكيفية وذلك ان يقدم

الصنج

ماحقه

ما حقه ان يؤخر او يؤخر ما حقه ان يقدم كقول الشاعر   وما مثله فى الناس
الا مملكاً ابو امه حى ابوه يقاربه   ومن اجل ما وقع فى الالفاظ من الشبه قال الحكماء
يجب ان يكون نظر الانسان من المعنى الى اللفظ اكثر من اللفظ الى المعنى فان اللفظ
فى الحقيقة لا يدل على المعنى الا بوساطة صورة ذلك المعنى فى القلب ومتى لم يثبت
صورة المعنى فى القلب لم يفهم المعنى من اللفظ البتة   جميع بيان اختلاف
الناس فى الاديان والمذاهب   جميع الاختلافات بين اهل الاديان والمذاهب
على اربع مراتب   الاولى الخلاف بين اهل الاديان النبوية وبين الخارجين عنها من
الثنوية والدهرية وذلك فى حدوث العالم وفى الصانع عز وجل وفى التوحيد
والثانية الخلاف بين اهل النبوية بعضهم بعضاً وذلك فى الانبياء كاختلاف المسلمين
والنصارى واليهود   والثالثة الاختلاف المختص فى اهل الدين الواحد بعضهم
بعضاً فى الاصول التى يقع فيها التبديع والتكفير والاختلاف فى كثير من صفات الله
عز وجل وفى القدر وكاختلاف المجسمة   الرابعة الاختلاف المختص باهل المقالات
فى فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية فالاختلاف الاول يجرى مجرى
متنافيين فى سلكيهما كآخذ طريق الشرق وآخذ طريق الغرب وآخذ ناحية
الجنوب وآخذ ناحية الشمال والثانى يجرى مجرى آخذ نحو الشرق وآخذ يمينه او شماله
فهو وان كان اقرب من الاول فليس يخرج احدهما عن ان يكون ضالاً ضلالاً
بعيداً واياهما قصد تعالى بقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيداً والثالث
يجرى مجرى آخذين وجهة واحدة لكن احدهما سالك المنهج والثانى تارك
للمنهج فهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وان كان الطريق يطول عليه والرابع
جار مجرى جماعة سلكوا منهجاً واحداً لكن آخذ كل واحد شعبة غير شعبة الآخر
وهذا هو الاختلاف المحمود بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاختلاف فى هذه
الامة رحمة ونحوه نظر من قال كل مجتهد مصيب ولاجل الطرق الثلثة امرنا
ان نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله اهدنا الصراط المستقيم وقال تعالى وان

هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فيفرق بكم عن سبيله وجميع
الخلاف الواقع في هذه الامة اثنان وسبعون على ما ورد في الخبر لا زايداً ولا ناقصاً
وقد روي الخبر في ذلك على وجهين احدهما ستفترق امتي على اثنين وسبعين فرقة
كلها في النار الا واحدة وفي الخبر الثاني كلها في الجنة الا واحدة وهم الزنادقة وهذان
خبران لا يمتنع ان يكونا صحيحين ولكن على نظرين ومعنيين وقد ذكر ذلك وبينته
في رسالة مفردة

النطق والصمت

النطق اشرف ما خص به الانسان
فانّ صورته المعقولة التي بها باين الحيوان ولهذا قال عزّ وجلّ خلق الانسان
علّمه البيان ولم يقل وعلّمه اذ جعل علّمه تفسيراً لقوله خلق الانسان تنبيهاً انّ
خلقه تعالى اياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهّم مرتفعاً لكانت الانسانيّة مرتفعة
ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة وصورة ممثّلة وقيل المرء
مخبوّء تحت لسانه وقال الشاعر لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ولم شو
يبق الا صورة اللحم والدم اي اذا توهّم ارتفاع النطق الذي باللسان والقوّة الناطقة
التي هي بالقلب لم يبق الا صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان هو الانسان بذلك
فلا شك انّ من كان اكثر منه حظاً كان اكثر انسانيّة والصمت من حيث ما هو صمت
مذموم فذلك من صفات الجمادات فضلاً عن الحيوانات وقد جعل الله تعالى بعض
الحيوانات بلا صوت وجعل لبعضها صوتاً بلا تركيب ومن مدح الصمت فاعتباراً
بمن يسئ في الكلام فيقع منه جنايات عظيمة في امور الدين والدنيا كما روي انّ الانسان
اذا اصبح كفّرت اعضاؤه للسان فيقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا فامّا اذا اعتبر بنفسها فمحال ان يقال في الصمت فضل
فضلاً ان يخاير بينه وبين النطق وسئل آخر عن فضلهما فقال الصمت عن الخنا الخنا
افضل من الكلام بالخطاء وعنه اخذ الشاعر فقال الصمت احسن بالفتى
من منطق في غير حينه والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة
انّ الصمت ابلغ لانّه قد يستعمل فيما لا قوّة فيه للنطق ولما له قوّة النطق ولهذا

قيل

قيل لما لم يكن له نطق الصامت والسكوت يقال لما له نطق فترك استعماله
والانصات سكوت مع استماع ومتى انفك احدهما من الآخر لم يقل له في
الحقيقة انصات وعلى ذلك قوله عزّ وجلّ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
وقوله وانصتوا بعد قوله فاستمعوا يدل انّ الانصات بعد الاستماع ذكر خاص
بعد عامّ والاصاخة الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسرّ والصوت من المكان البعيد

الصدق ومدحه والكذب وذمّه

اصلهما في القول ولا يكونان
بالقصد الاوّل من القول الا في الخبر دون غيره من اصناف الكلام فامّا بالعرض
فقد يدخل في انواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذاك انّ قول
القائل ازيد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلاً بحال زيد وكذلك اذا قال واسني
في ضمنه انّه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذني في ضمنه انّه يؤذيه وكلاهما اعني
الصدق والكذب يستعمل في الاعتقاد ايضاً كقولهم صدق ظنّه واعتقاده وكذّباه
ويستعمل ايضاً في اعمال الجوارح نحو صدقوهم القتال وكذبوهم وحدّ الصدق التام هو
مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً بل امّا ان
لا يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين
مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمّد رسول الله فانّ هذا يصحّ ان يقال
فيه انّه صدق لكون المخبر عنه كذلك ويصحّ ان يقال انّه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا
اكذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انّك لرسوله والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون
زيد في الدار انّه في الدار يصحّ ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين مختلفين
ولهذا قال عليه السلام من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ وفي خبر فقد
كذب على الله والمبرسم لا قصد له فاذا قال زيد في الدار لا يقال له صدق ولا كذب
والصدق احد اركان بقاء العالم حتّى لو توهّم مرتفعاً لما صحّ نظامه وبقاؤه وهو اصل
المحمودات وركن النبوّات ونتيجة القوى ولولاه لبطل احكام الشرائع ولذلك

قال عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والاختصاص
بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان النطق ومن عرف
بالكذب لم يعتمد نطقه فاذا لم يعتمد نطقه لم ينفع واذا لم ينفع نطقه صار هو والبهيمة
سواء بل يكون شرا من البهيمة وان لم ينتفع بلسانها فانها لا تضر والكاذب يضر
ولا ينفع ولهذا قال عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل واعلم ان كل
كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب بالحقيقة ولهذا
لا يتحاشى المتحرزون من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف
في خدمة الملوك ان سبعا وذيبا وثعلبا اجتمعن فقلن نشترك فيما نتصيد
فظفرن بعنز وظبي وارنب فقال السبع للذيب اقسم فقال هو مقسوم العنز
لك والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فادماه ثم قال للثعلب اقسم
فقال هو مقسوم العنز لك لغدائك والظبي لقيلك والارنب لعشائك فقال
له السبع من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب الارجواني الذي على الذيب
وعلى المثل حمل قوم قوله عز وجل ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
وقوله تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فقال يصح
هذا لما كان مثلا وان لم تجر تعالى العادة في وجود حبة هكذا **باب** ما يحسن
ويقبح من الصدق والكذب ذهب كثير من المتكلمين ان الصدق يحسن
لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح لما يتعلق
به من المضار الخالصة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الخالصة وذاك ان
الاقوال من جملة الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته انما يحسن ما يحسن لما يتعلق به من
النفع ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضر الموفي على ما فيه من النفع الا ترى ان اعظم
ما يجري في العالم القتل والعضب وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه
يقبح فكذا المقال من الصدق والكذب ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يحسن الكذب الا في ثلث اصلاح ذات البين وكذب الرجل امرأته ليرضيها

وكذب

وكذب الرجل في الحرب فانها خدعة وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا اتاكم مني حديث يدل على هدى او يرد على ردى فاقبلوه قلته او لم اقله
وان اتاكم عني حديث يدل على ردى او يرد عن هدى فلا تقبلوه فاني لا اقول الا
حقا قالوا والكذب يكون قبيحا بثلث شرايط ان يكون الخبر بخلاف المخبر عنه
وان يكون المخبر قد اختلقه قبل الاخبار به وان يقصد ايراد ما في نفسه لا نفعا اعظم من
ضرر ذلك الكذب مع شرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا
ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال
جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي فالمنفعة الدنيوية ولو كانت ملك
الدنيا بجملتها لا توفي على ادنى كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور في نفع اخروي
يكون الانسان فيه معذورا عاجلا وآجلا كمن سألك عن مسلم استتر في دارك
وهو يريد قتله فنقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موفي على ضرره وهو فيه
معذور ولا خلاف ان المعاريض حيث يضطر اليها يجوز ولذلك قيل في المعاريض
مندوحة عن الكذب ولم تزل الانبياء والاولياء يفزعون اليها كقول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لمن سأله من اين انت فقال من ماء وقول ابراهيم عليه السلام اني
سقيم وقوله هذه اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا واما الصدق فانما يحسن حيث
يتعلق به نفع ولا يلحق ضررا باحد معلوم قبح قول من يقعد ويقول السماء فوقي
والارض تحتي من غير ان يريد ان يجعل هذا مقدمة دليل او افادة معنى يعلقه به
وكذا يقبح النميمة والغيبة والسعاية وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية
ذما انه يقبح فيها الصدق واقبح الكذب مع قبح كله اوجله ما لا يتعلق به رجاء نفع
عاجل وآجل ويجلب الى المقول له ضررا كرجل يأتيك عن بلد بعيد فيقول ان
ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوف اليك ويسألك ان تأتيه ليعطيك
مالا وجاها واذا وردت لم تجد لذلك صدقا بل وجدت ذلك الملك حنقا عليك
باب انواع الكذب والسبب الداعي اليه الكذب اما ان يكون اختراع

الندح فراخ کردن

قصة لا اصل لها او زيادة في القصة او نقصانا يغير ان المعنى او تحريفا بتغيير عبارة فما كان اختراعا يقال له الافتراء والاختلاق وما كان من زيادة فمين وكل من اورد كذبا في غيره فاما ان يقوله بحضرة المقول فيه او بغير حضرته واعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه وهو المعبر عنه بالبهتان وكل من اورد حديثا فاما ان يقوله عن علم او عن غلبة ظن او تخمين وظن واه فما يقال عن علم محمود بلا شك وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن ويقبح وما كان عن تخمين وظن واه فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم واعلم ان الداعي الى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الترايس وذاك ان المخبر يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل فيظن انه يجلب بما يقوله فضلا ومسرة وهو يجلب به نقيصة وفضيحة وفضيحة كذبة واحدة لا توازي مسرات دهره والكذب عار لازم وذل دائم وحق الانسان ان يتعود الصدق ولا يترخص في ادنى كذب فمن استحلاه عسر عنه فطامه وقد قال بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة واحدة او انابة ما خلا الكذب فان صاحبه يزداد على الكبر فقد رأينا شارب خمر قلع ولصا ايدع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه فقال لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه

باب الذكر الحسن من المدح والثناء محبة ذكر الحسن اشرف مقاصد ابناء الدنيا وهي في جبلة الناس ومن خصايصهم ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر حب الثناء طبيعة الانسان ولولا الكلف به لما ظهرت العدالة من اكثر الناس ومن لا يخوفه الهجاء ولا يسره الثناء ولا يردعه عن سوء الفعال الا سوط او سيف وقيل الذي ينفر عن القبيح ويحث على الجميل خمسة اشياء العقل ثم الحياء ثم المدح والهجاء ثم الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه الذم عن سيئة ولم يدنجه المدح الى حسنة فهو جماد او بهيمة ولاجله تنازع الناس الرياسة والمنازل الرفيعة وليس الثناء في نفسه بمحمود ولا مذموم وانما يحمد

ويذم

ويذم بحسب المقاصد فمن قصده لطلب ما يستحق به الثناء على الوجه الذي يستحب فذاك محمود وهو طريق ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي اجعلني بحيث افعل ما اذا مدحت بشيء يكون مادحي صادقا ومن هذا الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلني خيرا مما يظنون والمذموم منه ان يميل اليه من غير تحريه لفعل ما يقتضيه وذلك من اعظم الآفات لمن تحراه فانه يفتح التزيد والتزيد يفتح الكذب والكذب رأس كل مذموم وقد توعد الله تعالى في طلب المحمدة من غير فعل حسنة يقتضيها فقال ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب وبالنظر الى ما تقدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال المومن اذا مدح في وجهه ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى ما تاخر سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا اثنى على آخر فقال قطعت مطاه لو سمع ما افلح والفاضل يكره الثناء عليه في وجهه سيما اذا كان من مادح مطر وجليس مغر وممن يهرف قبل ان يعرف وممن اذا وجد قادحا يقدح واذا وجد مادحا يمدح واما ثناء الانسان على نفسه فشناعة وفظاعة فقد قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل لنفسه وقال معوية لرجل من سيد قومك فقال انا فقال لو كنت لما قلت واما لم يستقبح ما كان من يوسف عليه السلام حيث قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم لانه قصد بذلك التنبيه على استقلاله بما سال ان يفوض اليه وقد احسن ابن الرومي حيث اعتذر من مدح لنفسه قصد الى الدلالة على مكانه فقال

الهرف

شعر
وعزيز علي مدحي لنفسي غير اني جشمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه كل حر يريد اظهارا له

باب الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها قيل وهو مقلوب عن الكشر اي الكشف ويضاده الكفر وهو من كفر الشيء اي تغطيته ومنه دابة شكور اي مظهر بسمنه اسداء صاحبه اليه وقيل اصله

من عين شكري اي ممتلية فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن هذا
الوجه قيل هو ابلغ من الحمد لانّ الحمد لا يقتضي الامتلاء، ومن وجه آخر ابلغ من
الحمد لانّ الحمد ذكره الشيء بصفاته والشكر ذكره بصفاته ونعمه والشكر
ثلثة اضرب شكر بالقلب وهو تصوّر النعمة وشكر باللسان وهو الثنا على
المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاته بقدر استحقاقه وهو ايضاً باعتبار
الشاكر والمشكور ثلثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء
والدعاء وشكره لنظيره وهو بالمكافات وشكره لمن دونه وهو بالثواب وقد
وصف الله تعالى نفسه بانّ شكر لصالحي عباده وشكر العبد له وهو معرفة نعمته وحفظ
جوارحه بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي ومعناه بالفارسية سپاس دارم خدايرا
اي انا حارس له على جوارحي وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل كما هو بالشرع
واوجبها شكر الباري تعالى ثم شكر من جعله عزّ وجلّ سبباً لوصول خير اليك
على يده ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشكر الله من لم يشكر الناس
وقال عليه السلام اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانّه لا زوال للنعمة اذا
شكرت ولا دوام لها اذا كفرت قال بعض العلماء كلّ نعمة يمكن شكرها الّا شكر نعمة
الله فانّ شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبد ان يشكر الثاني كشكره للاول وكذلك
الحال في الثالث والرابع وهذا يؤدّي الى ما لا يتناهى ولهذا قال موسى عليه السلام
الهي امرتني بان اشكر على نعمك وشكري لك نعمة من نعمك ومن هذا اخذ الشاعر شعر
اذا كان شكري نعمة الله نعمة علىّ لها في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر
الّا بفضله وان طالت الايّام واتّصل العمر ولهذا قيل غاية شكر الله
الاعتراف بالعجز عنه بل قد قال تعالى وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وايضاً
فكلّ ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه وان كان قد يعدّ بعض ذلك بليّة ولهذا
قال بعض الحكما ما منعه عطاء وبلاؤه نعماء ولاجل صعوبة شكره قال تعالى
وقليل من عبادي الشكور ولم يثن بالشكر على اوليائه الّا على اثنين منهم قال

في

في ابراهيم عليه السلام شاكراً لانعمه فخصّ لفظ الانعم الدال على ادنى العدد
وقال في نوح عليه السلام انّه كان عبداً شكوراً واعلم انّ الصبر والشكر
جماع للايمان كما روي في الخبر وقد روي الصبر نصف الايمان لكن قد قال بعض
المتصوّفة الشكر افضل من الصبر فانّ الصبر حبس النفس على مسالمة البلاء والشكر
ان لا يلتفت الى البلاء بل تراه من النعماء فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر
فقد تجاوز الى اظهار السرور بما جزع به الصابر وايضاً الصبر ترك العمل السيّء والشكر
اظهار الفعل الحسن وليس من ترك قبيحاً كمن فعل جميلاً وقابل تعالى الشكر
بالمجازات فعل الحبيب لحبيبه فقال وسنجزي الشاكرين وقابل الصبر بالاجر
فعل المستأجر باجيره فقال تعالى انّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب واين الاجر
وان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم قال في الصبر يوفّى فلم يسمّ فاعله وقال في الشكر
سنجزي الشاكرين فانظر الى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء الى الفعال ولم يذكر
من انبيائه بالشكر الّا اثنين كما تقدّم ووصف جماعتهم بالصبر فقال كلّ من الصابرين
وقال انّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور فجعل الصبر مبدأً والشكر منتهى ولانّ
الصبر محمول عليه قهراً والشكر مؤدّى طوعاً **الغيبة والنميمة** الغيبة
ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان احوج الى ذكره وقد عظّم الله
تعالى امرها فقال عزّ اسمه ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحبّ احدكم ان يأكل
لحم اخيه ميتاً فكرهتموه وقال عزّ وجلّ همّاز مشّاء بنميم وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم لا يدخل الجنّة قتّات وروي النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء قتّات
وقلّ من يوجد عايباً الّا كان معيباً وقال قتيبة لرجل رآه يغتاب احداً لقد
اللحظ تلمّظت بما يعافه الكرام وحقّ الانسان ان لا يتعوّدها فانّ لها ضراوة ولذلك الضراوة
لمّا عيّر انسان بالغيبة فقال لو تلمّظت بها لما صبرت عنها ثمّ انّ من اغتاب
اغتيب ومن عاب عيب فتجنّبه عن عيوب الناس يحمل الناس على التجنّب
عن عيوبه وكما يجب ان لا يتحرّاها بقوله يجب ان يتجنّب سماعها وسماع كلّ

العوراء الوضر

قبيح من الكذب لئلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كلمة عوراء لا يمكن تطهر القلب
منها الا بزمان مديد وعلاج شديد، وسماع القبيح قد يكون سبباً لفساد الكبير
المحتنك وغواية العالم المستبصر فضلاً عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر ولذلك
قال عز وجل في مدح قوم، واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً، وقد اجاد من قال شعر
وسمعك صُن عن سماع القبيح، كصون اللسان عن النطق به، وكقبح الغيبة
والنميمة المُسابة، قال امير المؤمنين رضي الله عنه ما تَسابّ اثنان الا غلب
الأمهما، والا انحط الاعلى الى رتبة الاسفل منهما، وقيل اذا سمعت كلمة
تؤذيك فتطامن لها حتى تتخطاك **باب الكلام القبيح** البذاء الكلام
القبيح ويكون من القوة الشهوية طوراً كالرفث والسخف، ويكون من القوة
الغضبية طوراً فمتى كان منه استعانة بالقوة المفكرة كان منه السباب
ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتاً مجرداً لا يفيد نطقاً كما يرى كثير
ممن فار غضبه وهاج هائجه، والرفث فواحش الكلام في باب النكاح
واوصاف النساء وهو قبيح، قال بعضهم اني لاستقبح من الرجل ان يكون
وصّافاً لبطنه وفرجه، ومن حق الانسان ان يصون عن ذلك سمعه كما
يصون عن التفوّه به فمه، ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مرّوا باللغو
مرّوا كراماً وقال واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الآية، والسباب ثلثة اوجه
الاول قدح في نسب المسبوب الثاني في نفسه او بدنه لعاهة به وآفة
الثالث في شئ فَعَلَه او فُعِل به، والسفه التسرّع الى القول القبيح او الفعل
القبيح **باب المزاح والضحك** المزاح اذا كان على الاقتصاد محمود فقد
روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقاً وروي
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كلمات مازح بها وقال سعيد بن العاص
لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب البهاء، ويجري عليك السفهاء،
وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين لكن الاقتصاد فيه صعب جداً لا

الرفث السخف

يكاد

يكاد يوقف عليه ولذلك تحرّج عنه اكثر الحكماء حتى قيل المزاح مَسلَبة
للبهاء مَقطعة للاخاء، وفحل لا ينتج الا الشر واما الضحك فمن خصائص
الانسان وذلك انه يكون من التعجب والتعجب لا يكون الا عن فكرة وبالفكرة يتميز
الانسان عن البهائم والاقتصاد فيه ومعرفته ما يحسن منه عسر كما هو في المزاح
وقيل اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وتورث النسيان وقال
وكثرة الضحك من الرعونة وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله يبغض
الضحاك من غير عجب والمشاء الى غير ارب واما ايراد المضاحك على سبيل
التسخف فنهاية القباحة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ويل للذي
يتحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له **باب** في الحلف اقبح من
الكذب اليمين الفاجرة ففيها مع الكذب الاستهانة بالمقسم به وحق المسلم
ان يتحاشى من الاستعانة باليمين في الحق فكيف بالباطل وان تحقق
تقدير القسم وما يراد به ليعلم ان الاعراض الدنيوية اوتح امراً واخس قدراً
من ان يفزع فيها الى الحلف بالله وتقدير ذلك هو ان القائل اذا قال
والله ان لي عليك كذا اي كون ذلك عليك حق كما ان وجود الله حق
هذا الكلام يتحاشى منه من في قلبه حبة خردل من تعظيم الله وقد قال الله تعالى
ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وقال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبرّوا وقال امير المؤمنين رضي الله عنه الحلف تنفق السلعة ويمحق
البركة ولم يخص يميناً عن يمين واما قول النبي عليه السلام من لم يحلف على
ماله فلا مال له فانه وان كان بنظر الفقهاء يتصور منه انه فسحة في الحلف
صادقاً فانه بنظر الحكماء حث على ايثار تعظيم الله وتقديمه على ايثار المال وتعريض
بان الذي فاته هو عرض حاضر لا الدين والمروة وحق العاقل اذا اضطر اليه
ان يسلك سبيل التعريض فيه لا التصريح وما لم يضطر اليه تركه تورعاً
وتحرجاً وان بدر منه سهو او حلف شفعه بالاستثنا كما قال عليه

الوتح

الحنث

السلام من كان حالفاً فليقل ان شاء الله فانه يدفع الحنث ويذهب
الحنث وينجز الحاجة ويدفع اللجاجة ، وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه مثلاً
والاحمق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا ، وعلامة الكاذب جوده بيمينه لغير
مستحلف ، قال الشاعر شعر وفي اليمين على ما انت واعده ، ما دل انك
في الميعاد متهم ، وقال بعض الحكماء اللعة الحلافة تدل على كذب اربابها
فان ذلك لقلة الركون الى كلامهم ، وكما جوز عليه السلام الكذب حيث يضطر
اليه جوز الحنث في اليمين فقال اذا حلف احدكم على شيء فراى غيره خيراً منه
فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه الفصل الثالث فيما يتعلق
بالقوة الشهوية ، باب في الحيا ، الحياء انقباض النفس عن القبايح وهو
من خصايص الانسان واول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان وجعله الله
في الانسان ليرتدع به عما ينزع اليه الشهوة من القبايح فلا يكون كالبهيمة وهو
مركب من جبن وعفة ، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً ولا الفاسق مستحيياً
لتنافي اجتماع العفة والفسق ، وقل ما يكون الشجاع مستحييا والمستحي شجاعاً
لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ولعزة وجود ذلك يجمع الشعراء بين المدح
بالشجاعة والمدح بالحياء شعر يجري الحياء الغض من قسماتهم ، في حين يجري
من اكفهم الدم آخر كريم يغض الطرف فضل حيائه ، ويدنو واطراف الرماح دواني
فمتى قصد به الانقباض فمدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح
فمدح لكل احد وبالاعتبار الاول قيل الحيا بالافاضل قبيح ومن هذا
الوجه قيل خزي خزياً في الهوان وخزي خزاية في الاستحيا ، مخجلا من منبع واحد
وبالاعتبار الثاني قيل ان الله يستحي من ذي الشيبة في الاسلام ان يعذبه
اي يترك عذابه واما الخجل فحيرة النفس لفرط الحيا ويحمد في النساء والصبيان
ويذم باتفاق في الرجال والوقاحة مذمومة بكل لسان اذ هي انسلاخ
من الانسانية وحقيقتها لجاج النفس في تعاطي القبيح واشتقاقه من حافر

وقاح

وقاح اي صلب ولهذا المناسبة قال الشاعر شعر يا ليت من جلد وجهك
رقعة فاقد منها حافراً للاشهب وما اصدق قول الشاعر شعر صلابة الوجه لم تغلب
على احد الا تكامل فيه الشر واجتمعا فاما مداوات اكتساب الحياء فحق الانسان اذا
هم بقبيح ان يتصور اجل من في نفسه حتى كانه يراه فالانسان يستحي ممن يكبر في نفسه
ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الاطفال الذين لا يميزون ويستحي من العالم اكثر
مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة اكثر مما يستحي من الواحد والذين يستحي منهم
الانسان ثلثة البشر وهو اكثر ممن يستحي منه ثم نفسه ثم الله عز وجل فمن
استحي من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه اخس عنده من غيره ومن استحي
منهما ولم يستحي من الله عز وجل فلعدم معرفته به فان الانسان يستحي ممن
يستعظمه وكيف يعلم انه يطلع عليه وقول النبي عليه السلام استحيوا من الله
حق الحيا في ضمنه حث على معرفته وقال عز وجل الم يعلم بان الله يرى تنبيهاً
ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحي من ارتكاب الذنب وسئل الجنيد رضي الله
عنه عما يتولد منه الحيا من الله تعالى فقال روية العبد آلاء الله عليه ورويته
تقصيره في شكره ان قيل كيف قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من لا
حيا له فلا ايمان له قيل الحياء اول ما يظهر في الانسان من امارة العقل والايمان
آخر مرتبة العقل ومحال حصول المرتبة الاخيرة لمن لا يحصل له الاولى فبالواجب
احرى كان من لا حياء له فلا ايمان له فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحيا شعبة
من الايمان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى
وزينته الحيا باب كبر الهمة واما كبر الهمة فخاص للانسان فاما الحيوانات
فكل جنس يتحرى الفعل بقدر ما في طبعه وهو حال بين التفتح وصغر الهمة
فالتفتح تاهل الانسان لما لا يستحقه وهو البذح وصغر الهمة تركه لما لا يستحقه البذح
وهو الدناءة وكلاهما مذموم لكن المتفتح جاهل احمق والصغير الهمة جاهل
غير احمق وليس لكبر الهمة افراط مذموم في الحقيقة وانما الافراط يدخل في كل

فعل يتصوره بعض الناس بصورة علو الهمة له وليس كذلك   واعلم انه يقال
فلان كبير الهمة وفلان صغير الهمة اذا كان احدهما يطلب مقتنىً اكثر او اشرف
مما يطلبه الآخر والكبير الهمة على الاطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه
فلا يصير عبد عاريه بطنه وفرجه بل يجتهد ان يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء
الله واوليائه في الدنيا ومن مجاوريه في الآخرة   والصغير الهمة من كان على الضد
من ذلك   وقال اعرابي فلان عظمه صغر الدنيا في عينيه فكان خارجاً من سلطان
بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وخارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له
رأياً ولا بدناً وحق الانسان ان يتلطف عن ذلك فانه وان كان بعنصره
حيواناً فبعقله وفكره ملك اذا ضيع نفسه صار شراً من بهيمة وذلك هو الخسران
المبين   وقيل من عظمت همته لم يرض بقنية مستردة وحياة مستعارة
فان امكنك ان تقتني قنية مؤبدة وحياة مخلدة فافعل فلا اعتداد بحالة فنا
فالكبير الهمة على الاطلاق من يتحرى الفضائل لا للجاه ولا للثروة ولا للذة ولا
لاستشعار نخوة واستعلاء على البرية بل يتحرى مصالح العباد شاكراً بذلك نعم الله تعالى
ومتوخياً به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبيه فانه **شعر** اذا عظم المطلوب قل
المساعد، وطرق العلى قليلة الايناس، **باب** الوفاء والغدر، الوفاء
الوفاء اخو الصدق والعدل والغدر اخو الكذب والجور   وذاك ان الوفاء صدق
باللسان والفعل معاً والغدر كذب بهما وفيه مع الكذب نقض العهد والوفا
يختص بالانسان فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية كالصدق وجعل الله
العهد من الايمان وصيره قواماً لامور الناس   فالناس مضطرون الى التعاون
ولا يتم تعاونهم الا بمراعاة العهد والوفا ولولا ذاك لتنافرت القلوب وارتفع
التعايش   ولذلك عظم الله تعالى امره فقال   واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وقال عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم   وقال تعالى وثيابك فطهر
قيل نزه نفسك عن الغدر   وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا

وقال

وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون   وعظم حال السموأل فيما التزم
من الوفا بدروع امرئ القيس ولقلة وجود ذلك في الناس قال عز وجل وما
وجدنا لاكثرهم من عهد وضرب المثل به في العزة فقيل هو اعز من الوفا قال
الشاعر **شعر** ابى الناس الا ذميم الفعال، اذا جربوا وقبيح الكذب، **باب**
المشاورة   المشاورة اشتقاقها من شرت الدابة اذا استخرجت جريها وهي
استنباط المرء رأي غيره فيما يعرض من الامور المشكلة   ويكون ذلك في الامور
الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها   ونعم العدة هي قال امير المؤمنين
رضي الله عنه المشاورة حصن من الندامة وامن من الملامة   وقيل الاحمق من
قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة   فالرأي الواحد كالسحيل
والرأيان كالخيطين والثلاثة امرار لا تنقض   وكفاك بمدحه قول الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر   وقد استحسن الحكماء قول بشار **شعر**
اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن، بحزم نصيح او نصاحة حازم، ولا تجعل الشورى عليك
غضاضة، فريش الخوافي تابع للقوادم، لكن اعتبار من يجوز ان يعتمد مشورته صعب
جداً فانه يحتاج ان يكون صديقاً اميناً مجرباً حازماً ناصحاً رابط الجاش غير معجب بنفسه
ولا متلون في رأيه ولا كاذب في مقاله فمن كذب لسانه كذب رأيه ويجب
ان يكون فارغ البال في وقت ما يستشار   وقد احسن بشار حيث قال **شعر**
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه، ولا كل مؤت نصحه بلبيب، ولكن اذا ما استجمعا
عند واحد، فحق له من طاعة بنصيب، **باب** النصح   النصح اصله من نصحت
الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة لغيره في اظهار ما فيه صلاحه وهو ذوب
المحبة المختصة بالفضيلة دون محبة النفع واللذة وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم
امرها فقال الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة
المسلمين ولعامتهم فبين عليه السلام ان النصح واجب لكافة الناس وذلك
بان يتحرى مصلحتهم في جميع امورهم بقدر وسعه   واول النصح ان ينصح الانسان نفسه

السحل

ممن غشها فقل ما ينصح لغيره وحق من استنصح ان يبذل غاية النصح
وان كان ذلك في شيء يضره ويتحرى فيه قول الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم وقال عز وجل واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال ابن عباس رضي الله عنه لايزال الرجل
يزداد في صحة رايه ما نصح لمستشيره فاذا غشه سلبه الله تعالى صحة رايه
ولا يلتفتن الى ما قال اذا نصحت للرجل فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه
فذلك قول القاه الشيطان على لسانه اللهم الا ان يريد بغشه السكوت عنه
فقد قيل كثرة النصيحة تورث الظنة ومعرفة الناصح من الغاش المتنصح
صعبة جدا فالانسان لمكره يصعب الاطلاع على سره اذ هو قد يبدي خلاف
ما يخفي، وليس كالحيوان الذي يمكن الاطلاع على طبيعته **باب** كتمان السر
السر ضربان احدهما ما يلقي الى الانسان من حديث ليستكتم وذلك اما لفظا
كقولك لغيرك اكتم ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرى القايل حال انفراد
فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه عن مجالسه ولهذا قيل اذا حدثك
انسان بحديث فالتفت فهو امانة والثاني ان يكون حديثا في نفسك مما
تستقبح اشاعته او شيئا تريد فعله والى الاول من ذلك اشار النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بقوله من اتى منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله
والى الثاني اشار من قال من وهى الامر اعلانه قبل احكامه وكتمان النوع الاول
من الوفا وهو اخص بعامة الناس والثاني من الحزم والاحتياط وهو اخص
بالملوك واصحاب السياسات واذاعة السر من قلة الصبر وضيق الصدر
ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان والسبب في انه يصعب
كتمان السر هو ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوق الى الفعل
المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها لما اتاك من
الاخبار من لم تزود فصارت هذه القوة تتشوق الى فعلها الخاص بها فعلى

الانسان

الانسان ان يمسكها ولا يطلقها الا حيث يجب اطلاقها ولا يخدعنك عن
سرك قول من قال واكتم السر فيه ضربة العنق، وقول من ينشدك
شعر ويكاتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان تمر بباله، فذلك قول من
يستنزلك عما في قلبك فاذا استفرغ ما عندك لم يرع فيه حقك فقد
قيل الصبر على قبض الجمر ايسر من الصبر على كتمان السر، وما اصدق من انبا
عن حقيقة حاله حيث قال له صديقه اريد ان افشي اليك سرا تحفظه
علي فقال لا اريد ان اوذي قلبي بنجواك واجعل صدري خزانة شكواك فيقلقني
ما اقلقك ويؤرقني ما ارقك فتبيت بافشائه مستريحا ويبيت قلبي بجره
جريحا، وقيل اكثر ما يستنزل الانسان عن سره في ثلثة مواضع عند الاضطجاع على
فراشه وعند خلوه بعرسه وفي حال سكره ومن حق من يسار غيره ان يجتنب
المحافل لامرين احدهما ان ينبا به النطق **شعر** فهذا يقول قد اغتابني وذا يستريب
وذا يتهم، والثاني تتبع بالفحص فيطلع على مراده ولذلك قال صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث **باب** التواضع والكبر
التواضع اشتقاقه من الضعة وهو رضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه
فضله ومنزلته وفضيلته لا تكاد تظهر في افناء الناس لانحطاط درجتهم وانما
ذلك يبين في الملوك واجلاء الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل لانه
ترك بعض حقه وهو بين الكبر والضعة، فالضعة وضع الانسان نفسه
مكانا يزري به لتضييع حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره، والفرق بين
التواضع والخشوع ان التواضع يقال فيما بين رفيع ووضيع وايضا فالتواضع
يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار افعال
الجوارح، وقال عز وجل خاشعة ابصارهم، وقال وخشعت الاصوات
للرحمن، وقد عظم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم التواضع فقال طوبى
لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة، وقيل لبزرجمهر

هل تعرف نعمة لا تحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه فقال نعم اما النعمة
فالتواضع واما البلا فالكبر وقال بعض الحكما وجدنا التواضع مع الجهل
والبخل احمد عند الحكما من الكبر مع الادب والسخاء فانبل بحسنة غطت على سيئتين
واقبح بسيئة غطت على حسنتين والكبر ظن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر
اظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله عز وجل ومن ادعاها من المخلوقين فهو
فيها كاذب ولذلك صار مدحا في الباري وذما في البشر وانما شرف المخلوقين في
اظهار العبودية كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون تنبيها ان ذلك لهم رفعة لا ضعة والمتكبر والضرع كلاهما جاهلان
لان الضرع غبي والمتكبر غبي احمق وشتان ما بينهما فالغبي قد يتادب والاحمق
لا سبيل الى تاديبه ولان الضرع قد ترك ماله والمتكبر ادعى ما ليس له وشتان
ما بين المنزلتين ولان الكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة
والجهل راس الانسلاخ من الانسانية ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ولذلك
عظم الله تعالى امره فقال انه لا يحب المتكبرين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
وقال اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وقال
كذلك يطبع الله على كل متكبر جبار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز
وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منهما قذفته في نار جهنم
ونبه تعالى على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال ولا تمش في الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا واقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل
ولذلك قال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل والكبر واستحسن
قول الشاعر شعر جمعت امرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك وافعال المماليك ومن
تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته فعرف مبداه
ومنتهاه واوساطه عرف نفسه ورفض كبره وقد نبه الله عز وجل بقوله
فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب

وقال

وقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والى هذا المعنى اشار ونظر
مطرف بن عبد الله لما قال ليزيد بن المهلب اولك نطفة واخرك جيفة قذرة وانت
تحمل فيما بين ذلك العذرة واخذ الشاعر منه فقال كيف يزهو من رجيعه ابد
الدهر ضجيعه وقال اخر يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع ممن كان تكبره
لغنية فليعلم ان ذلك ظل زايل وعارية مستردة والاستطالة اظهار الطول ممن
اظهر ذلك من غير طول فمنسلخ من الانسانية ومن اظهره مع الطول فقد ضيع طوله الطول
والصلف يقال اعتبارا بميل في عنقه والصعر لميل في خده ولذلك استعمل في ذلك لي اللي
الراس نحو قوله عز وجل لووا رؤوسهم والباء والاستقصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب
والخيلاء ان يظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خلت ولتصور هذا المعنى قال حكيم اعجاب
المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها مع ضعف قوة فيظهر فرحه بها والزهو الاستخفاف
من الفرح بنفسه فاما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة واصلها من العزاز وهي
الارض الصلبة فالمتعزز من حصوله في عزاز لا يلحقه فيه غضاضة كالمتظلف في كونه في ظلف
من الارض لا تلحقه فيه مذلة والعزة منزلة شريفة وهي نتيجة معرفة الانسان بقدر نفسه
واكرامها عن الضراعة للاعراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه
وانزالها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور احدهما بصورة الاخر كتصور التواضع والتضرع
والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا
قال الحسن رضي الله عنه لمن قال له ما اعظمك في نفسك فقال لست بعظيم
ولكني عزيز وقد قال الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال النبي عليه السلام
لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه ولما قلنا قالوا التكبر على الاغنياء تواضع تنبيها ان
هذا التكبر في الحقيقة عزة نفس ولاجل ان هذا التكبر غير مذموم قال عز وجل
ويتكبرون في الارض بغير الحق فشرط غير الحق وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
من خضع لغني فوضع عنده نفسه طمعا فيه ذهب ثلثا مروته وشطر دينه

باب الفخر الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان وذلك
نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله فاعراض الدنيا عارية مستردة
لا يؤمن في كل ساعة ان تسترجع والمباهي بها مباه بغير ثراه ومتبجح بما في بطن سواه
كالفاخرة بجدح ربتها بل ادون من ذلك فقد قال بعض الحكماء لمثر يفتخر بثرائه
ان افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة لفرسك دونك وان افتخرت بآبائك
فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت هذه محاسننا فما لك
من الحسن وايضاً فالاعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع وظل
زائل عن قليل يضمحل كما قال الشاعر **شعر** انما الدنيا كرؤيا فرحت من رآها
ساعة ثم انقضت بل كما قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء الآية فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك واذا اعجبك
من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه او بقاءك وفناءه او فناءكما جميعاً واذا
راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه اليك وطول حسابك
عليه ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وقد ذم الله تعالى الفخور فقال والله لا يحب
كل مختال فخور **باب العجب** العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة
هو غير مستحق لها ولهذا قال اعرابي لرجل رآه معجباً بنفسه يسرني ان اكون عند
الناس مثلك في نفسك واكون في نفسي مثلك عند الناس فتمنى حقيقة ما
يعتقده المخاطب ورأى ذلك انما يتم حسنه متى عرف هو عيوب نفسه وقيل
للحسن من شر الناس فقال من يرى انه افضلهم وقال بعضهم الكاذب في نهاية
البعد من الفضل والمرائي اسوأ حالاً من الكاذب لانه يكذب بقوله وفعله
والمعجب اسوأ حالاً منهما فانهما يريان نقص انفسهما ويريدان اخفاءه والمعجب
يعمى عن مساوي نفسه فيراها محاسن ويبديها قال ولان المرائي والكاذب قد
ينتفع بهما كملاح خاف ركابه الغرق من مكان في البحر فبشرهم بتجاوزه قبل ان تجاوزه
لئلا يضطربوا خوف الغرق فيؤديهم ذلك الى العطب وقد يحمد رياء الرئيس اذا

الثراه
الجدح

قصد

قصد ان يقتدى به في فعل الخير والمعجب لا حظ له في ذلك بوجه لانك اذا وعظت
المرائي والكاذب فنفسهما تصدقك وتبكتهما لمعرفتهما بنقصهما والمعجب لنقصه
وجهله بنفسه يظنك في وعظه ملغياً فلا ينتفع بمقالك واياه قصد تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ثم قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
تنبيهاً انهم لا يقبلون لاعجابهم وقال النبي صلى الله تعالى وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابليس لعنه الله اذا
ظفرت من ابن آدم بثلاث لا اطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر
عمله ونسي ذنوبه وكما ان المعجب بفرسه وان كان ردياً لا يروم ان يستبدل بغيره
كذا المعجب بنفسه لا يريد بحاله وان كانت ردية بدلاً واصل الاعجاب حب
الانسان لنفسه وقد قال النبي عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم ومن عمي
وصم تعذر عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا عيوناً تعرفنا
عيوبنا ويحق ما قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأً اهدى الي عيوبي ويجب للانسان
اذا رأى من غيره سيئة ان يرجع الى نفسه فان رأى منها ذلك نزعها ولم يغفل عنها
ممن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى والتيه قريب من العجب لكن
المعجب يصدق نفسه فيما يظن بها وهماً والتياه يصدقها قطعاً كانه متحير في تيه
باب انواع اللذات وتفاصيلها اللذة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث
النفس لنيل ما تتشوقه وهي ثلاث بحسب القوى الثلث وبحسب المقتنيات الثلث
لذة عقلية وهي التي تختص الانسان بها كلذة العلم والحكمة ولذة بدنية يشارك
فيها جميع الحيوان كلذة المآكل والمشارب والمناكح ولذة مشتركة بين الناس وبين
بعض الحيوان كلذة الرياسة والغلبة واشرفها واقلها وجوداً اللذة العقلية
فشرفها انها لا تمل ولا تتبدل لكن لا يعرفها الا من تخصص بها فالحكمة لا يستلذها
الا الحكيم وادون اللذات منزلة واكثر وجوداً اللذة البدنية وكل حيوان يتشوقها
لكنها تمل تارة وتراد تارة وهي من وجه مداواة من الآلام ومن وجه هي الآلام

وعلى هذا قال الحسن رضي الله في وصف الانسان صريعُ جوعٍ وقتيل شبع وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشمّ ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يشبهها وقد جعل ذلك سبعة وادخل المركب والخادم والمرفق وما يجرى مجراه داخلاً في جملة المبصرات وعلى ذلك ما روى امير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه وقد رآه يتنفس فقال يا عمار ماذا تنفسك ان كان على الآخرة فقد ربحت تجارتك فان كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك فاني وجدت لذاتها سبعة المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل وهي صنعة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء وهو مباح اهون موجود واعز مفقود واما المنكوحات فمبال في مبال وحسبك ان المرأة تزين احسن شيء منها ويراد اقبح اقبح شيء منها واما الملبوسات فافضلها الديباج وهو نسج الدود واما المشمومات فافضلها المسك وهو دم فارة واما المسموعات فريح هابة في الهواء واما المبصرات فخيالات صايرة الى الفناء وقد ذكر الله تعالى اصل ذلك في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية والمشار اليه بحرث الدنيا هذه الاشياء السبعة على ما ذكره امير المؤمنين والعشرة على ما ذكره غيره وكلا القولين في التحصيل واحد والمراد بالنساء اقتناؤهن والاستكثار منهن وبالبنين الذكر من الاولاد والحفدة والخدم وبالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السايمة منها والمستعدة واعلم ان التي هي ضرورية للانسان من هذه اللذات ولا قوام له في هذه الدنيا الا بها ما هو مشترك بينه وبين جنسه من الحيوان المأكل والمشرب ويجمعها اسم الغذاء والمنكح فبالغذاء بقاء الاشخاص وبالنكاح بقاء الانواع ولذلك صارت الحاجة اليهما ضرورية وصار تناولهما لا بد للانسان منه وساير اللذات مخصوصاً بها الانسان وليس بضروري له ويتناوله بفكرة

ونايف

ويأنف الملوك من هذه الملاذ الا اثنين السماع لكونه من وجهٍ لذةً روحانيةً والنساء لكونه دالاً على الهمة الرفيعة ومتى كانت الشهوة غير متناهية عقلية كانت ام بدنية فيقال لها الحرص فالحرص قد يكون محموداً ولذلك قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ومتى كانت الشهوة بالمقتنيات قيل لها الشره سواء كان مالاً او طعاماً او نكاحاً ومتى كانت للطعام قيل لها النهم واذا كانت للنكاح قيل لها الشبق وثلاثتها اعني الشره والنهم والشبق مذمومة وما روي من قوله عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم والنهم في العلم استعارة وهو ان يحمل على نفسه ما يقصر قواها عنه فينبت وقد قال عليه السلام ان المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى

باب ما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح

الغذاء ضربان احدهما ما لا يستغنى عنه في قوام البدن كالطعام الذي به يتغذى والماء الذي به يروى والانسان اذا تناول من ذلك مقدار ما لم يمكن التبلغ باقل منه على ما يجب وكما يجب فمعذور بل مشكور ومأجور وعلى هذا ما روي عنه اكل الصالحين تنزل الرحمة وحقه ان يتناول تناول مضطر عالم بقذارة ماله وان يرى ادخاله في نفسه كدخول المستراح ويتحقق ان نسبة الانسان الى الفواكه والثمار نسبة الجعل الى الروث فلو نطق الشجر لقال لك انت تاكل فضالتي كما ياكل الجعل فضالتك فالخنزير اذا استطاب فضالة الانسان فما هو الا كاستطابتنا لفضالة الشجر وبهذا يعلم ان شرف المطعم والمشرب بالاضافة لا بالاطلاق فالق يا انسان عن مناكبك الدثار واجعل البصيرة واستعمل الاعتبار تجد صدق ما قلت ومن تناول من الطعام اكثر من ذلك كره له طباً وشرعاً اما طباً فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعود كل بدن ما اعتاد قال ابن زكريا المتطبب ما ترك النبي عليه السلام في الطب شيئاً الا اتى به في هذه الكلمات الثلاث واما شرعاً فقد قال النبي عليه السلام ما من وعاء

البغض الى الله من بطن ملئ من حلال وذاك ان امتلاء البطن مقوٍ للشهوة
وتقوية الشهوة داعية الهوى والهوى اعظم جند للشيطان ومن اثر هواه وانتشر
في بدنه حتى في كل عضو منه جزء بقدر وسعه له فكثر جنود الشيطان اذا تسلط
على الانسان سباه من ربه وصرفه عن زاده وقيل لحكيم ما بالك مع كبرك لا تتفقد
بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح لي
فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش والضرب
الثاني من المطعم ما يستغنى عنه ولو توهمناه مفتقداً لم يختل افتقاده البدن واعظمها
ضرراً المسكر فنفعه ليس بضروري وتناوله تسهيل لطرق الشيطان في تهييج
القوة السبعية واثارة سلطان الهوى كما قال عز وجل انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله الآية وقيل حيث
الشراب واللهو لا تسكن العفة والحكمة فان قيل فقد قال الله عز وجل قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فلم يخص من الحلال قدراً دون
قدر وجنساً دون جنس قيل الطيب التام الطيب هو الذي جمع اللذة والنفع
والفضيلة وذلك هو قدر المتبلغ به على ما يجب وكما يجب الا ترى انه كيف
ذم من لم يكن قصده فقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
وقال والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم ومن
الدليل على خسة كثرة الاكل ادعاء عامة الناس الاستغناء بالقليل وقلة وجود
المفتخر بكثرة الاكل وقيل من همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج منه وقد استحسن
قول الشاعر   وانك مهما تعط بطنك سؤله   وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا   شعر
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان
كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقال عليه السلام
المؤمن ياكل في معاً واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء فنبه من الخبرين انه لا
يستحب للانسان الا الاكل في سبع بطنه وهو ما ذكره من اللقيمات وذلك

دون

دون عشرة لقيمات لان الجمع بالالف والتاء لما دون العشرة ثم رخص لمن
غلب عليه النهمة ان يبلغ الى ثلث بطنه فحصل من ذلك ان اكل المؤمن في اليوم
يجب ان يكون سبع بطنه او ثلثه **باب فيما يستحسن من النكاح وما يقبح
منه** قد تقدم ان النكاح ضروري في حفظ النسل وبقاء النوع كما ان الغذاء
ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا
تكثروا وقال خير النساء الولود الودود وشرها العقيم وقال تزوجوا الولود
الودود فاني مكاثر بكم الامم وقال سوداء ولود خير من حسناء عقيم ولقصد
النسل حظر اتيان النساء في محاشها وعلى هذا نبه قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم   المحاش
فأتوا حرثكم انى شئتم فنبه انه لا يجوز اتيانها الا في الحرث وكره العزل توكيداً
للمقصود من الجماع وعلى ذلك دل قوله عز وجل وابتغوا ما كتب الله لكم وتحري   من الولد
النكاح على ضربين احدهما على الوجه الذي سنه الشرع وذلك اما محمود وهو ان
يتعاطاه قاصداً به النسل او ذيلاً على ما يجب لوجهه ومسكناً لنفسه فالماء اذا
اجتمع في مقره يجري مجرى مادة في قيح جمع يعظم بحبسه الضرر ويدعو صاحبه الى ما هو في
الشرع محرم واما مكروه طباً وان لم يكن مكروه شرعاً وذلك ان يتعاطاه المرء فضلاً عما
تقدم ذكره فانه ينفد العمر ويستنفد القوى ويوسع اوعية المني ويجلب اليها دماً
كثيراً ويزيد شهوة واعظم فائدة فيه ان يلحق صاحبه بافق البهائم من التيوس
والثيران وغيرهما مما يوصف بالشبق والضرب الثاني هو ان يكون على غير   الثيران جمع الثور
الوجه المشروع وذلك ضربان احدهما تعاطيه في المحرث ولكن لا على وجه الذي
يجب وكما يجب كالزناء وقد عظم الله تعالى امره فقرنه مرة بالشرك فقال
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ومرة قرنه
بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال عز وجل والذين لا يدعون مع الله الهاً
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية وسمي ذلك
سفاحاً من حيث ان المجتمعين عليه لا غرض لهما سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع

ماءً في غير حرثه والثاني تعاطيه في غير الحرث كاللواطة وهي اعظم من الزنا لان
الزنا وضع البذر في الحرث على غير الوجه المامور به كمن يذرع في ارض غيره او على الوجه
الذي يجوز ان يزرع فيها وفي اللواطة مع ذلك تضييع البذر فمتعاطيها ممن قال
تعالى فيه ويهلك الحرث والنسل ولهذا وصف قوم لوط بالاسراف فقال تعالى
انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون فاما العشق
الشهوي فحماقة وجهل بما وضع لاجله الجماع وتجاوز لحد البهايم في عدم ملكة النفس
وذم الهوى لان المتعشق لم يرض بارادة لذة الباه التي هي من اسمج الشهوات
حتى ارادها من موضع واحد فازداد بذلك عبودية على عبودية وذلة على ذلة والبهيمة
احسن حالاً منه لانها اذا اسقطت الاذى عن نفسها بالسفاد سكنت وصارت
الى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها
وانما اعطاه العقل ليقمع به الشهوة القبيحة لا ليجعله خادماً لها وساعياً في تحصيلها
وتعاطي العشق حال كل جاهل فارغ سيما اذا نظر في اخبار العشاق وجالسهم
وربما يؤدي الحال بالعاشق الى الدق والذبول بل الى الموت قال الشاعر
شعر لو فكر العاشق في منتهى معشوقه قصر عن عشقه ومن اثار شهوته
فهو كمن يثير بهايم عادية وسباعاً ضارية ثم يلتمس دفاعها والخلاص منها وكفى ما
يحتاج من باعث الطبيعة عن اثارته بالفكر والروية فمن اعان الطبيعة على ذلك
فهو كما قيل شعر كلما انبت الزمان قناتاً ركب المرء في القناة سناناً وقال
حكيم لتلميذ له هوى جارية هل تشك في ان لا بد ان تفارقها يوماً ما فقال لا
قال فاجعل تلك المراة المتجرعة في ذلك اليوم في يومك هذا واربح ما بينهما من
الخوف المنتظر وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الالف اليه وقيل
لبعض الحكماء ما العشق قال جنون لا يوجر عليه صاحبه وسئل آخر عنه فقال مرض
نفس فارغة لا همة لها وقال آخر سوء اختيار صادف نفساً فارغة فاشاروا
كلهم الى معنى واحد **باب في العفة** العفة لا تتعلق الا بالقوى الشهوية ولا تتعلق

من

من القوة الشهوية الا بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالغارين البطن والفرج
دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فان قيل فالاستطابة
الرايحة قد يكون للبهايم الا ترى ان الذئب يستطيب ريح الغنم والكلب يستطيب
ريح الارنب قيل ان استطابتهما هو استطابة للاكل والذي قلناه من الرايحة
هو ما يستطاب لذاته لا لاجل غيره فما هو لاجل احد الغارين فحكمه حكمهما كاستطابة الانسان
ريح السكباج فثبت ان العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي
حالة متوسطة بين افراط هو الشره وتفريط هو خمود الشهوة وهي اس الفضايل
من القناعة والعفة والزهد وغنى النفس والسخاء وعدمها يعفي على هذه المحاسن
ويعري عن لبوس المحامد ومن اتسم بسمة العفة قامت العفة له بحجة ما سواها
من الفضايل وسهلت له سبيل الوصول الى المحاسن واسها تتعلق بضبط القلب
عن تطلع الشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالباً للبغي والعدوان وتمامها تتعلق
بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني وسوء الظن اللذان هما اس
كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده واذا حسده عاداه واذا عاداه نازعه
ربما قتله ومن اساء الظن عاداه وبغى وتعدى ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعاً فقال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً
من الظن ان بعض الظن اثم فامر فيهما بقلع اصل شجرتين يتفرع عنهما جل الرذايل
والمآثم ولا يكون الانسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر
فمن عدمها في اللسان السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالالقاب
ومن عدمها في البصر مد العين الى المحارم وزينة الحيات الدنيا المولدة للشهوات
الردية ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحة وعماد عفة الجوارح كلها
ان لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص كل واحد منها الا فيما يسوغ فيه العقل والشرع
دون الشهوة والهوى واعلم انه لا يكون المتعفف عفيفاً الا بشرايط وهي ان لا يكون
تعففه عن الشيء انتظار الاكثر منه او لانه لا يوافقه او لخمود شهوته او لاستشعار

خوف من عاقبته او لانه ممنوع من تناوله او لانه غير عارف به لقصوره فان ذلك كله ليس بعفة بل انما هو اصطياد او تطبب او مرض او خرق او عجز او جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة اذم من تركها عن الغضب والشهوة مخاتلة مخادعة والغضب مغالب والمنجحر عن قتال المخادع اردأ حالاً من المنجحر عن المغالب ولهذا قيل عبد الشهوة اذل من عبد الرق وايضاً فان الشره قد يجهل عليه فهو شبيه بمدينة لهم سنة ردية واهلها يدعون صحتها ومن لا يضبط نفسه للغضب لم يكد يجهل عيبه فهو شبيه بمدينة لهم سنة ردية يتعاطونها وهم يعرفون قبحها وليس من تعاطى قبيحاً يعرفه كمن تعاطاه وهو يظنه حسناً

باب القناعة والزهد القناعة الرضى بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد اى القليل وهما يتقاربان لكن القناعة يقال اعتباراً برضى النفس والزهد يقال اعتباراً بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد لا زهد ولذلك قال بعض الصوفية القناعة اول الزهد تنبيهاً ان الانسان يحتاج اولاً الى قدع نفسه والتخصص بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد والقناعة هي الغناء في الحقيقة فالناس كلهم فقراء من وجهين احدهما افتقارهم الى الله عز وجل كما قال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والثاني لكثرة حاجاتهم فاغناهم اقل حاجة ومن سد مفاقره بالمقتنيات فما في انسدادها طمع فانه كمن يرقع الخرق بالخرق ويسد الفقر بالفقر ومن سدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغني والمقرب من الله تعالى كما اشار اليه فيما حكى عن طالوت عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلاً منهم ولان الغنى هو عدم الحاجة فاغناهم اقلهم حاجة ولهذا كان الله اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شيء وعلى هذا نبه النبي عليه السلام بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض فانما الغنى غنى النفس ومن ابيات الحكمة **شعر**

غنى النفس ما يكفيك سد حاجة ... فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

والمخير بين ان يستغني عن الدنيا وبين ان يستغني بها كالمخير بين ان يكون مالكاً او مملوكاً وقوياً

القدع

مفاقره

او ضعيفاً ومعافياً او مبتلى وحياً او ميتاً فمتى اختار الاستغناء بها فقد اختار ان يكون مملوكاً وضعيفاً وميتاً ومبتلى ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وقيل لحكيم لم لا تغتم فقال لاني لم اتخذ ما يغمني واعلم انه ليس الزهد من ترك المكاسب في شيء كما توهمه قوم افرطوا حتى قربوا من مذهبهم المانوية والبراهمة والرهابنة فان ذلك يؤدي الى خراب العالم ومضادة الله عز وجل فيما قدره ودبره وقد تقدم ذلك والزهد من وجد صبر ومن وجد جود فمما في يد غيرك متورعاً وذلك اشرفهما ولا يحصل الزهد في الحقيقة الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها وآفاتها ويتحقق ما يستغني عنها ويعرف الآخرة وافتقاره اليها ولاجل ان لا بد في ذلك من العلم قال الله تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون ولان الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة وهو يبيعها بها كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومحال ان يبيع كيس عيناً باثر الا اذا عرف فضل المبتاع على المبيع وقيل لبعض الزهاد ما ازهدك واصبرك فقال اما زهدي فرغبة فيما هو اعظم مما انت فيه واما صبري فلجزعي من النار

باب الورع الورع اصله جبن وضعف وقد يستعمل في كل واحد منهما لكن جعل في عرف الشرع لترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا وذلك ثلثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس وقال باعتبار المنزل الثاني لما قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشد الورع قال عليه السلام ما ايسر الورع اذا شككت في شيء فدعه

الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوة الغضبية

باب ما ينتج من القوة الغضبية الحمية وهى قوة الغضب متى
تحركت تحرك دم القلب فتولد منه ثلثة احوال وذلك انها اما ان تتحرك
على من فوقه او على من دونه او على نظيره فان كان ذلك على من فوقه ممن
يظن انه لا سبيل الى الانتقام منه تولد منه انقباض الدم وذلك هو
الحزن وان كان على من دونه ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه
يتولد منه ثوران دم القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان على
نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه تردد الدم بين انقباض
وانبساط وذلك هو الوتر والحقد ولكون الغم والغضب بالذات واحدا
واختلافهما بالاضافة سئل ابن عباس رضى الله عنه عنهما فقال
مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه اظهره غضبا
ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا فمن هذا قال الشاعر فحزن
كل اخى حزن اخو الغضب ولانبساط [illegible] يحمر وجهه
تارة وينتفخ اوداجه كنار تلتهب ولينقبض [illegible] تارة [illegible]
كثر واشتد غضبه كنار فى غار فيسود وجهه ولانقباض [illegible] عن
ظاهر الجلد واجتماعه فى القلب يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك
ولتردد دم الحقد بين هذه الاحوال يحمر ويصفر ويسود والحرد هو الغضب
لكن يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك يقال حرد حرود الاسد

باب انواع الصبر ومدحه الصبر ضربان جسمى ونفسى فالجسمى هو
تحمل المشاق بقدر الطاقة البدنية ونهايته معلومة واكثرها لذوى الجسوم
الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر الصبر بالارواح
يعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجسام وذلك فى الفعل كالمشى ورفع الحجر
وفى الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع والثانى نفسى
وبه يتعلق الفضيلة وذلك ضربان صبر عن تناول مشتهى ويقال له العفة

وصبر

وصبر على تحمل مكروه او محبوب وذلك يختلف اسماؤه بحسب اختلاف مواقعه
فاذا كان ذلك فى نزول مصيبة فانه لم يتعد به اسم الصبر ويضاده الجزع
والهلع والحزن وان كان فى احتمال غنى فقد يسمى ضبط النفس ويضاده الدقع الدقع
والبطر وان كان فى امساك النفس عن قضاء وطر الغضب يسمى حلما ويضاده
التذمر وان كان فى نائبة مضجرة يسمى سعة الصدر ويضاده ضيق الصدر والضجر الدمر
والتبرم وان كان فى امساك كلام فى الضمير يسمى كتمان السر ويضاده الافشاء
وان كان عن فضولات العيش يسمى قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره
ولكون الصبر عاما قال عز وجل والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فذكر انهم يصبرون فى البأساء
اى الفقر وفى الضراء اى المصيبة وحين البأس اى المحاربة قال بعضهم ضبط
النفس يقال فى الاشياء الملذة والصبر يقال فى الاشياء المحزنة وقال
بعضهم بل هما من الاسماء المترادفة على معنى واحد ان قيل ما معنى قول النبى عليه
السلام [illegible] الايمان قيل لما كان جميع المحامد من بين ترك الشر ويعبر
عنه بالعفة [illegible] عنه بالشكر صار الصبر الذى هو ترك الشر نصف
الايمان **باب** فى الشجاعة الشجاعة ان اعتبرت فى النفس فجراءة
القلب على الاهوال وربط الجاش فى المخاوف وان اعتبرت بالفعل
فالاقدام على موضع الفرصة وهى فضيلة بين التهور والجبن وتولدها من
الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون مفرطا كمن
يحتدم سريعا من اشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا يغضب من الافتراء
على حرمه وشتم ابيه وامه وقد يكون متوسطا على ما يجب فى وقت ما يجب
وبقدر ما يجب وكذلك الفزع يكون مفرطا فيتولد منه الجبن والهلع وفرطا الهلع
فيتولد منه الوقاحة والغدارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه
واصدقائه وقد يكون متوسطا كما يجب وقدر ما يجب ولكونهما اعنى الغضب

والفزع على حالتين محمودة ومذمومة صارا يحمدان تارة ويذمان اخرى فان
الغضب في نحو قوله تعالى وغضب الله عليهم والفزع في نحو قول الشاعر فزعت
لظلمه هما محمودان والتهور هو الثبات المذموم في الامور المعضلة وانواع
الشجاعة خمسة سبعية كمن اقدم لثوران غضب وتطلب غلبة وبهيمية
كمن حارب توصلا الى مأكل او منكح وتجربية كمن حارب مرارا فظفر فجعل
ذلك اصلا يبني عليه وجهادية كمن يحارب ذبا عن الدين وحكمية وهي ما يكون الذب
في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر ما يجب وعلى ما يجب الا ترى
انه يحمد من اقدم على كافر غضبا لدين الله او طمعا في ثوابه او خوفا من عقابه
او اعتمادا على ما راى من انجاز الله وعده في نصرة اوليائه فان كل ذلك
محمود وان كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام حوز ثواب ودفع عقاب
فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم والفرق بين المقدم في الحرب
لمحض الحكمة واخلاص الدين وبين المقدم لغير ذلك ان المقدم لغير الحكمة والاخلاص
يخاف الموت اكثر مما يخاف المذمة الصادقة والمقدم لحكمة والاخلاص بالضد
من ذلك فانه يختار الموت على الحيات الذميمة ولذلك قال امير المؤمنين رضي
الله عنه ايها الناس ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده
لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على فراش ومن الشجاعة المحمودة
مجاهدة الانسان نفسه او غيره وكل واحد منهما ضربان مجاهدة النفس بالقول
وذلك بالتعلم وبالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية ومجاهدة الغير
بالقول وذلك تزيين الحق وتعليمه وبالفعل وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه
بالحرب فصل اسماء الفزع والفرق بينها وما يحمد منها ويذم الفزع والجزع
اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشيء المخيف والجزع ما يعتري من الشيء المولم
والفزع لفظ عام سواء كان عارضا عن امارة او دلالة او حاصلا عن ذلك
ومتى كان ذلك من عار فهو الحياء والخجل ومتى كان عن شيء يتضرر فهو الفرق

والذعر

والذعر ومتى كان لفوت محبوب فهو الاشفاق ولهذا قال حكاية عن
اهل الجنة انا كنا قبل في اهلنا مشفقين والخوف توقع مكروه
عن امارة والخشية خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة به ولذلك قال
تعالى من خشي الرحمن بالغيب والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر
ليس له امارة قال الله تعالى عز وجل والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون والرهبة خوف مع تحرز واضطراب وتقتضي الاحتراز
قال عز وجل اوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون والهيبة رهبة جالبة للخضوع
عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر هابك اجلالا وما بك قدرة
علي ولكن ملء عين حبيبها وهذه الاشياء قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد
باعتبار الامور الاخروية قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وقال واياي فارهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء والخوف من
الله ليس يشار به الى ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد
وانما يشار به الى ما يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا تعدن خائفا
من لا يترك الذنوب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
اي لا تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفي ان قيل كيف مدح المؤمن
بالحزن والخوف مع قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل اما
الممدوح به فهو مقتضاهما وذلك باقامة العبادات واما المنفيان عنهم فهما اللذان
يكونان من الاشرار باب مداوات الغم وازالة الحزن حق الانسان ان يعلم ان الدنيا
جمة المصائب رنقة المشارب تثمر للبرية اصناف البلية مع كل لقمة غصة ومع الرنقة الكدر
كل جرعة شرقة فهي عدوة محبوبة كما قال ابو نواس شعر اذا امتحن الدنيا لبيب
تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وكما روي عن الحسن انه قال ما مثلنا مع الدنيا
الا كما قال كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فما احد منا
الا وفي كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية شعر تناضله

الآفات من كل جانب * فتخطيه يوماً ويوماً تصيبه * وقال بعض الحكماء اسباب
الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب ولا يسلم منهما انسان لان الثبات
والدوام معدومان في عالم الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه
فهو غير عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويوجد له ما لم يوجد فحق المرء ان لا يخلي قلبه
من اعتبار فيما يرى من ارتجاع ودائعها من اربابها وحلول قوارعها حتى باصحابها وما
احسن ما قال ابن الرومي شعر الم ترز الدهر من قبل كونه * كفاها اذا فكرت في الخلوات
فمالك كالمرمي من نام من له * بنبل اتته غير مرتقبات * فان قلت مكروه اتانا نجاة
فما فوجئت نفس مع الخطرات * ولا خوفضت نفس بهلوى وقدرات * عظات
من الايام بعد عظات * اذا بعثت اشياء قد كان مثلها * قديماً فلا تعتدها بغتات
ثم من حقه ان يقال من اقتنا ما يورثه الحزن * فقد قيل لحكيم لم لا
تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده * واحسن الشاعر [illegible] ذلك فقال
شعر ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئاً يبالي له فقدا
وقيل لحكيم هل يمكن الانسان ان يعيش [illegible] قال نعم اذا احترس
من الخطيئة وقنع بحاله ولم يحزن لما هو واقع به لا محالة [illegible]
الجزع على ما فات لا يلم ما تشعث ولا يبرم ما انتكث كما قال الشاعر
شعر وهل جزع مجد علي فاجزعا فاما غمه على المستقبل فلا يخلو من انه
اوجبه اما في شيء ممتنع كونه او واجب كونه او ممكن كونه فان كان على ما
هو ممتنع كونه فليس ذلك من شان العقلاء وكذلك ان كان من قبيل
الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد وان كان ممكناً
كونه فانه ان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفاعه كامكان الموت
قبل الهرم فالحزن له جهل واستجلاب غم الى غم وان كان من الممكن الذي
يصح دفاعه فالواجب ان يحتال الدفاعه بعقل غير مشوب بحزن فان
دفعه والا اتقاه بصبر ويتحقق معنى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة

ق

في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على
الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم والله
لا يحب كل مختال فخور فمن علم ان ما جرى في حكمه وسبق في علمه لا سبيل
الى ان يكون هانت عليه الخطوب واعلم ان الذي يغر الناس حسن
ظنهم بانحسار الآفات واغترارهم حالة بعد حالة بصفاء الاوقات لو
تأملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه
ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد خبأ لهم الدهر يوم سوء ان الليالي
لم تحسن الى احد الا اساءت اليه بعد احسان واما سبب الاغتمام بالموت
فلا ينفك من اربعة اوجه اما لفوت شهوات بطنه وفرجه واما على
ما تخلفه من ماله واما على جهله بمآله واما خوفه لما قدمه من عصيانه
[illegible] ذلك [illegible] بطنه وفرجه فليعلم ان ذلك كثرته داء ليقابله
[illegible] في الانسان [illegible] يستلذ الطعام حتى يجوع والجوع داء مهروب
عنه [illegible] مهروب عنه [illegible] من يحب الجوع ليستطيب بعده
الاكل [illegible] يستطيب [illegible] في الشمس ليناله الحر ثم يستطيب القعود
في الظل [illegible] ذلك رفاعة لا تحمد ولا تعد وان كان غمه على ما خلفه
من ماله فذلك لجهله من نجاسة الاعراض الدنيوية وكونها مجمع كل
بلية وبنفاسة الاملاك الحقيقية التي وعد المتقون بها وان كان غمه
لجهله بمآله فمداواته العلم والمعرفة الحقيقية التي تريه حال ما للانسان
بعد الموت كما قال حارثة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاني انظر
الى عرش ربي بارزاً وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون والى اهل
النار يتعاوون فيها وان كان خوفاً لما كان في عصيانه فدواه
المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله له اليه سبيلاً
من تلافي ما فرط منه ووعد به التائبين

الناس في ذلك على ثلثة اضرب • الاول حكيم عليم ان
الحيوة لسنة قد والموت يعتقه • وان الانسان وان طال في هذا
العالم لبثه فهو كخطفة برق لمعت في اكناف السماء ثم عادت للاختفاء
وانه في دنياه كمبعوث الى ثغر يحوطه وبلد ليسوسه يراعي ما استرعى
ويسير بعادته اذا دعي ولا يتكاره و خروجه منها الا بقدر ما يفوته من خدمة
ربه والازدياد من قربته والاشتياق مما يقول ويقال له كما قال بعض
الصالحين وقد روي انه جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال جزعي
ان اسلك طريقا لم اعهده واقدم على رب لم اره وما ادري ما اقول
وما يقال لي • والثاني رجل آنس بهذا العالم فالفه وان كرهه فسبيله
سبيل من الف بيتا مظلما قذرا ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان
قد كره دخوله فيه كما قال الشاعر ~ • دخلنا كارهين لها فلما •
الفناها خرجنا مكرهينا • وصاحب البلاد [illegible] وبلوى • ترى العيش رفقة من معونيا
وبحق ما قيل لو رضي الناس بارزاقهم وبادوا لهم لما شكى احد فقره • فهذا
متى خرج عن دنياه واطلع على ما اعد للصالحين مما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر سر بخلاصه كما حكى الله تعالى عمن استقر به القرار
في جنة النعيم حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها لغوب • والثالث رجل عم البصيرة فتلطخ السريرة بما ارتكبه
من انواع الجريرة رضي بالحيوة الدنيا واطمان بها ويئس من الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور فاذا خرج منها الى دار الخلود واقر ذلك به • كما تضر
رياح الورد بالجعل • فاذا خرج من قاذورات الدنيا لم توافقه العالم العلي
ومصاحبة الملأ الاعلى ومنادمة اولي العلى فيعمى كما قال تعالى • ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ولهذا قال صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم • الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر • واجدر ان من تربى
في هذا العالم بغذايه من العلم والعمل الصالح ان لا يشتاق اليه بعد
خروجه منه وان خرج كارها كما لا يشتاق الرجوع الى بطن امه بعد الخروج
منه • ويدلك على انه خرج من بطن امه كارها بكاؤه • فقد قال بعض العلماء
اول ما ينال الصبي غمه عند سقوطه كما يضغطه من مضيق وجه ويصيبه من الم
الهواء فيتوجع والوجع يورثه الغم والغم يحمله على البكاء • وذاك ان للصبي كل
ما يكون للحيوان غير النطق من اللذة والالم والجوع والعطش • ومن هذا اخذ ابن
الرومي فقال ~ لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد •
والا فما يبكيه منها وانه • لافسح مما كان فيها وارغد • قال ابن عباس رضي الله
عنهما عنه ما احد الا والموت خير له من الحيوة لان الله تعالى قال في الاخيار وما
عند الله خير للابرار وقال في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما • وقيل الصالح اذا
مات استراح من الدنيا والشرير اذا مات استراح منه الدنيا • وقال بعض
الحكماء من قال لغيره صانك الله من نوب الايام وصروف الزمان فانه يدعو
له بالموت فان الانسان لا ينفك شي من ذلك الا بعد خروجه من دار الكون
والفساد • وقال بعض الصوفية حق ملك الموت ان يحبه المسلم من بين الملائكة
فضل محبة من حيث انه احد اسباب تعويضه الحيوة السنية الابدية من حياته
الدنية الدنيوية • ولهذا امرنا ان نقول في دعائنا اللهم صل على جبرئيل وميكائيل
وملك الموت • فان جبرائيل وميكائيل هما سببان لانبائنا من ذلك العالم بما
فيه والملك الموت وهو سبب خلاصنا من دار الكون والفساد فاذا حقه عظيم
وشكره لازم • وقد حكي ان قوما من الاوائل كانوا يعظمون زحل بالتقديس
والتسبيح له وقالوا انه لا يعين على الحيوة الوضيعة بل هو سبب انقاذنا
من الدنيا • وقال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سالتك الحيوة في
دار الممات فقد رغبت في البعد منك وزهدت في القرب منك فقد قلل

D 25773

نبيك وصفيك من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه وقال بعضهم ان كان في قلة الحاجة الدنيوية
غنىً ففي انقطاع الحاجة كلها الغنى الاكبر ولا انقطاع لها الا بمفارقة الدنيا
فالدنيا سبب فاقتنا والعبودية لغير الله وقبيح بالعاقل صحبة الفاقة
والتخصص بعبودية غير رب العزة والموت سبب كمال الانسان
ومن رغب عن كماله من الذين خسروا انفسهم ومن كره الموت اخرج
عن الدنيا كارهاً فيكون كعبد آبق رد الى مولاه ماسوراً وقيد الى حضرته
مقهوراً وشتان بين عبد دعاه مولاه فاتاه طوعاً وعبد آبق اسر
فاتي به قسراً وحق العاقل ان يكثر من ذكر الموت وذكره للموت لا
يقرب اجله ويفيده ثلثا القناعة بما رزق والمبادرة بالتوبة والنشاط
بالعبادة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم اكثروا ذكر هادم
اللذات فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا
ضيقها عليه وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى
فيهون المصائب ويحول بين الانسان والطغيان

السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمانينة الصدر عاجلاً وآجلاً
وذلك في الحقيقة انما يكون اذا لم يخف زواله ولا يكون الا في القنيات
الاخروية ولذلك قيل لا سرور في الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح
الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك

A
565